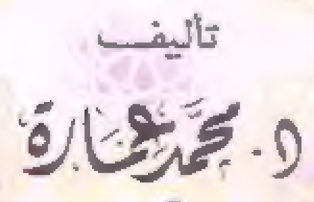
في التنوير الإسلامي

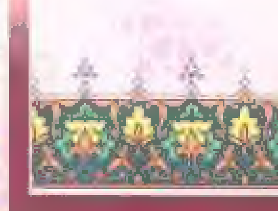
«٧٤»

إسلامية المعرفة
ماذا تعني...؟

تأليف

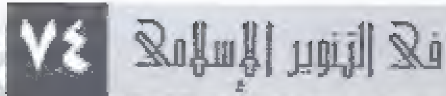
د. محمد عمارة













إسلامية المعرفة

ماذا تعني...؟

تأليف

د. محمد عمارة



اسم الكتاب: إسلامية المعرفة ماذا تعني؟

المؤلف: د. محمد عمارة

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

تاريخ النشر: الطبعة الأولى يناير 2007م

رقم الإيداع: 2006 / 22719

الترقيم الدولي: ISBN 977-14-3763-6

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 3466434 (02) - 3472864 (02) فاكس: 3462576 (02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: Publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) فاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: Press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة - ص.ب: 96 الفجالة - القاهرة
ت: 5909827 (02) - 5908895 (02) فاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني 08002226222
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: Sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدي)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938



«إسلامية المعرفة»..

هذا شعار جديد عرفته حياتنا الفكرية والثقافية منذ سنوات.. وكأي شعار جديد فلقد قوبل بردود فعل متباينة ومتفاوتة، تراوحت ما بين التأييد.. والحذر.. والحماس، غير الواعي، له.. أو ضده!

وإذا كان هذا الشعار جديداً، وإذا كانت جدته قد كانت سبباً في الكثير من علامات الاستفهام التي قامت من حوله.. فإن من الضروري - جلاءً لحقيقته - أن نبدأ هذا التمهيد بالإشارة إلى حقيقتين:

الأولى: أن جدة هذا الشعار - «إسلامية المعرفة» - لا تعني جدة المضمون الذي يعبر عنه، ولا جدة القضية التي يطرحها.. فإسلامية المعرفة - كما سيقيم الدليل عليها هذا التمهيد - هي مهمة فكرية، ورسالة ثقافية عرفتها حضارتنا منذ ظهور الإسلام.. وأول كتاب عرض لهذه القضية - في تاريخنا الحضاري - هو القرآن الكريم: **فشعار «إسلامية المعرفة» يوحي بالموقف القائل بقيام علاقة ما بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية**.. وهذه هي المهمة الفكرية والرسالة الثقافية التي عرفتها حضارتنا الإسلامية منذ ميلادها وتبلورها، والتي قدمتها بديلاً إسلامياً في المعرفة للنموذج المادي في المعرفة الذي كان معروفاً وسائداً في حضارات أخرى، غير الحضارة الإسلامية، قبل وعند ظهور الإسلام..

ولذلك، فإننا نأمل أن تكون الإشارات التي يقدمها هذا الكتاب لتاريخ مضمون هذا الشعار «علاقة الإسلام بالمعارف الإنسانية» في تاريخنا الحضاري والفكري والثقافي – شاهدًا على أن جدة الشعار لا تعني أن مضمونه «بدعة فكرية»؛ لأنه في حقيقته مُسلّمة من المسلمات الفكرية الراسخة في علوم حضارة الإسلام..

والثانية، من الحقائق، التي نشير إليها الآن، هي أن جدة هذا الشعار قد أثارت – وهذا طبيعي أحيانًا – ردود أفعال متباينة تجاهه:

● فهناك – غير الذين ينكرونه ويستنكرونه؛ لأنهم ينكرون ويستنكرون – بوعي – أن تكون للإسلام علاقة – أية علاقة – بأي من معارف وعلوم المدنية والحضارة والحياة – هناك – غير هؤلاء – الذين نفهم موقفهم ولابد أن نحاورهم – هناك الذين ينكرونه لجهلهم بحقيقة مراميه ومقاصده.. وهناك الذين يظلمون هذا الشعار – «إسلامية المعرفة» – عندما يرفعونه، ويستخدمونه، مع جهلهم بحقيقة ما يعنيه! فيسيئون إليه أشد من إساءة العقلاء من أعدائه؛ لأنهم يقدمون «الحجج» السلبية التي يستفيد منها هؤلاء الأعداء؟!

في مواجهة هذا الشعار الذي يطرح قضية: قيام علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية.. وطبيعة ومدى هذه العلاقة؟ هناك مواقف، وردود أفعال:

● فمن الناس من يظن أن «إسلامية المعرفة» هي «كهانة – كنسية» جديدة، في دوائر المعرفة.. تريد أن تجعل من علوم ومعارف الحياة، المدنية والحضارية، «دينًا خالصًا» فتقدسها قدسية الدين، وتثبتها ثبات الدين – فهي حجر جديد على الاجتهاد في علوم الحياة، وتجميد لها وجمود يحول بينها وبين التطور

والتغيير. وبهذا الفهم للقضية، نراهم يناصبونها العداء: مخافة أن تعيد، من جديد، السيرة الأولى للكنيسة الأوربية مع العلم والعلماء!

● ومن الناس من يحسب أن إسلامية المعرفة إنما تعنى فصالاً تامًا وكاملاً مع العلوم والمعارف الإنسانية - الاجتماعية منها والطبيعية - التى أبدعها العقل الإنسانى فى الحضارات غير الإسلامية.. فهذه معرفة إسلامية.. وتلك كافرة.. والفصال كامل والخصام تام بين الكفر والإسلام! فهم يخشون أن يفضى أمر إسلامية المعرفة بنا إلى قطيعة مع ثمرات العقل غير المسلم فى المعارف والعلوم، فنزداد عزلة ونوغل فى الانغلاق اللذين يفضيان بنا إلى الذبول والانقراض!

● ومن الناس من توهم أن إسلامية المعرفة لا تعنى ولا تكلف ولا تقتضى أكثر من إضافة بعض من آيات القرآن الكريم ومن الأحاديث النبوية الشريفة إلى مناهج وحقائق وقوانين العلوم التى أبدعتها مدارس الفكر الغربى - الإنسانية منها والطبيعية - فكما نستعين باكتشافات العلم الغربى على اكتشاف الإعجاز العلمى فى آيات القرآن الكريم، نستطيع أن نستعين بآيات القرآن الكريم: لإضفاء «الإسلامية» على هذا العلم الغربى.. وكفى الله عقولهم «شر» الاجتهاد والإبداع!

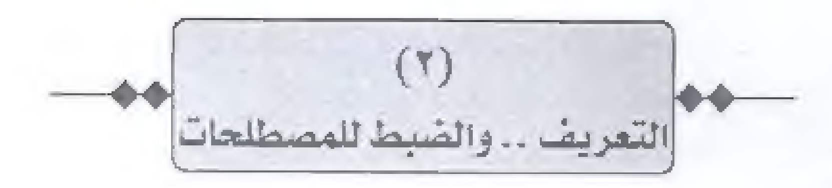
● لكن هناك - غير هؤلاء جميعًا - من يتحفظون على جميع هذه المواقف والرؤى.. ويرون أن إسلامية المعرفة، وإن تكن شعارًا جديدًا، إلا أنه يعبر، فى رأيهم، عن رسالة فكرية جليلة ومهمة ثقافية ثقيلة الحمل! تمثل واحدة من السمات الثوابت والقسمات الأصيلة فى حضارتنا الإسلامية منذ ظهر الإسلام..

وللبرهنة على ذلك، كان لابد من ضبط وتفسير المصطلح والشعار - إسلامية المعرفة - لتبيان المقاصد، وتبديد الغموض.. ليؤيد من يؤيد عن بيِّنة.. ويعارض من يعارض عن بيِّنة.. ويقلع الذين يمتهنون القضية عن هذا الذى يفعلون!

ولابد كذلك من وضع القضية فى مكانها وإطارها الطبيعى والصحيح كبديل إسلامى، ومذهب إسلامى فى المعرفة، يقابل ويخالف المذاهب المادية والوضعية والحسية فى المعرفة.. وإقامة الدليل على أن هذا هو مكان وخطر هذه القضية.. كانت البديل الإسلامى فى المعرفة الذى واجه به القرآن الكريم مذاهب الشرك فى المعرفة المادية.. وكانت البديل الإسلامى فى المعرفة الذى واجه به فكرنا الإسلامى المبكر مذاهب الديانات الوضعية فى المعرفة «الحسية - التجريبية»، عندما رأتها هذه المذاهب مصدرًا وحيدًا لمعارف الإنسان.. فكانت هى - إسلامية المعرفة - «مقالة الإسلاميين» - فى المعرفة الإنسانية - التى واجهوا بها «مقالات غير الإسلاميين» فى هذا الميدان!

كانت كذلك، فى النشأة، وفى التطور.. كما هى الآن، عندما يطرحها هذا الشعار الجديد - إسلامية المعرفة - ليواجه بها مذاهب الحضارة الغربية فى المعرفة.. المادية منها والوضعية.. والتجريبية.. والوضعية المنطقية.. والسلوكية.. وغيرها من المذاهب التى تشترك فى نفى العلاقة بين «كتاب الوحى» - الدين - وبين «كتاب الوجود» - المُدْرَك بحواس الإنسان..

وتلك هى المهمة التى تطمح لبلوغها صفحات هذا الكتاب إن شاء الله.



(٢)
التعريف .. والضبط للمصطلحات

والآن..

ماذا يعنى هذا المصطلح - الشعار - «إسلامية المعرفة»؟

● إن «الإسلامية» هى النسبة إلى الإسلام.. وإذا كان الإسلام - لغة - هو الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول ﷺ من البلاغ الإلهى المتمثل فى القرآن الكريم، ومن البيان النبوى، المتمثل فى السنّة النبوية الصحيحة - فإن الإسلام - فى الاصطلاح - هو الدين الذى وضعه الله سبحانه وتعالى لعباده ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[١].. فهو وضع إلهى، يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول ﷺ.. من البلاغ الإلهى، والبيان النبوى.

فالإسلام - فى الاصطلاح - هو: الوضع الإلهى.. وفى اللغة.. هو الانقياد لهذا الوضع الإلهى: أى الانقياد لله، ولما جاء من الشرائع والأحكام التى تلقيناها عن رسول الله[٢].

«فالإسلامية» هى النسبة إلى هذا الدين الذى وضعه الله: أى إقامة العلاقة مع الوحى ونبأ السماء.

---

(١) سورة آل عمران : ١٩.

(٢) انظر الجرجانى [التعريفات] - طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م. و[معجم ألفاظ القرآن الكريم] - وضع مجمع اللغة العربية - القاهرة - طبعة ١٩٧٠م

● أما «المعرفة» فإنها: خلاف الإنكار.. وإدراك الأشياء وتصورها.. فهي: العلم الكسبي الخاص بالبسيط والجزئي والذي فيه إدراك وتصور - وتلك صفات وجهود بشرية إنسانية.

وعندما يراد بـ«العلم»: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.. أو: إدراك الشيء على ما هو به.. أو: حصول صورة الشيء في العقل.. فإنه - وفق هذه التعريفات - يكون مرادفًا للمعرفة؛ لاشتراكه معها في كونه كسبيًا، معتمدًا على الإدراك والتصور، وخاصًا بالبسيط وبالجزئيات.

أما عندما يكون العلم: صفة للإحاطة بالكليات والجزئيات جميعًا، على نحو يكون فيه العلم علة وسببًا للموجود والمعلوم - وليس معلولاً لهما - وغير متوقف على الإدراك والتصور - وأمثالهما من الخصائص البشرية الإنسانية - فذلك هو العلم الإلهي.. المفارق للمعرفة؛ لأن علم الإنسان ومعرفته معلولة ومسببة عن الموجود، وليست سببًا وعلة لوجود هذا الموجود..

فالعلم: منه الكسبي - المرادف للمعرفة - ومنه غير الكسبي - وهو العلم الإلهي.. ولا يسمى معرفة؛ لأن المعرفة كسب، بالإدراك والتصور، في نطاق البسيط الجزئي.. وليس هكذا علم الله، غير الكسبي، والمحيط بالكليات والجزئيات..

فكل «معرفة» هي «علم».. وليس كل «علم» هو بالضرورة «معرفة».. والله - سبحانه وتعالى - عالم.. ولا يوصف بالعارف.. أما الإنسان فإنه عالم وعارف بهذا المعنى الذي حددناه..

وفيما هو بسيط. يقال: علمته، وعرفته. ولا يقال علمته فيما لا يحاط به، لخروجه عن البسيط؛ ولذلك يقال: عرفت الله. ولا يقال علمته؛ لأن المعرفة تقال فيما يُدْرَك بآثاره، ولا تُدْرَك ذاته..

ولارتباط المعرفة بالكسب وبالواسطة - أدوات الإدراك والتصور - كانت خاصية إنسانية.. ويشهد على هذا قول رسول الله ﷺ: «أنا أعلمكم بالله»[1]، وإن المعرفة فعل القلب؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[2].

وكما لا يقال: الله عارف، كذلك لا يقال في حقه، سبحانه: عاقل.. كما لا تطلق صفة الدراية عليه أيضًا[3].

أي أن بين «المعرفة» و«العلم» خصوصًا وعمومًا..

فالمعرفة إنسانية: لأنها كسبية، وبالوسائط، وخاصة بالبسيط والجزئي، وما يُدْرَك بآثاره، ولا يُدْرَك كنه ذاته.. وتلك من سمات وخصائص وحدود الإنسان.. أما العلم فإنه أعم من المعرفة؛ إذ فيه الكسبي، الواقف عند البسيط، والجزئي - وهذا هو العلم الإنساني - الذي هو معرفة إنسانية.. وفيه كذلك العلم غير الكسبي، علم ما هو مركب، العلم المحيط والكلي، والمُسبِّب للموجودات، وليس المنعكس عنها.. وهذا هو علم الله، سبحانه وتعالى.

---

(1) رواه البخاري. ولو سأل سائل: لم قال الرسول: «أعلمكم» ولم يقل: أعرفكم؟ فالجواب: أن مصدر المعرفة النبوية هنا هو الوحي لا الكسب، فهي علم.

(2) سورة البقرة: ٢٢٥.

(3) انظر في هذه المعاني [معجم ألفاظ القرآن الكريم] و[التعريفات] - للجرجاني - و[المعجم الفلسفي] - وضع: د. مراد وهبة، ويوسف كرام، ويوسف شلالة - طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م.

ولذلك فإن "الوحي" رغم بلوغه لنا عن طريق الرسول ﷺ هو علم لا "معرفة" لأنه تنزيل الله وبلاغ الرسول ولا كسب فيه من الرسول ولا اكتساب. أما فهمنا له فهو علمنا به ومعرفتنا به بالكسب والاكتساب فالعلوم الشرعية فيها "علم إلهي" هو البلاغ القرآني والبيان النبوي، وفيها "معرفة إنسانية" هي اجتهادات المجتهدين وفقه الفقهاء في البلاغ القرآني والبيان النبوي.

هذا عن الخصيصة [illegible] الإسلامية للمعرفة فتتحدد في العلاقة بين الإسلام وبين المعرفة أي الصلة بين "كتاب الوحي" القرآن الكريم وبيانه النبوي وبين "كتاب الوجود" ومعارف الإنسان في علوم الوجود الإنسانية منها والطبيعية.

فهي "إسلامية المعرفة" التي للمذهب القائل بوجود علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية والترابط بجعل الواقع والوجود وحدة المصدر الوحيد للعلم الإنساني والمعرفة الإنسانية.

هي المذهب الذي يقيم المعرفة الإنسانية على ساقين اثنين "الوحي" وعلومه و"الكون" وعلومه وليس على ساق واحدة هي "الوجود".

وبذلك كان تميز هذا المذهب في المعرفة نصًا يعتمد كل أدوات وسبل المعرفة المناسبة لإدراك حقائق ومعارف كل من

المصدرين وليس فقط اعتماد الحواس والتجارب لأنها لن يمكن لها أن تهتم الإدراك لحقائق الوجود في عالم الشهادة، فلن تفي بإدراك حقائق وتصورات كتاب الوحي في عالم الغيب.

وإذا كانت المعارف والعلوم منها ما هو إلهي شرعي ومنها ما هو بشري مدني وحضاري ودنيوي فإن هذا التقسيم لا يعني الفصل التام بين الإلهي الشرعي وبين البشري المدني، وإنما يعني التمييز فقط بين العلوم والمعارف التي موضوعها الوحي القرآني والنبوي «السنة»، فهي إسلامية الموضوع والمصدر والمنطلقات والمقاصد والغايات، وفيها من ثمرات جهود مختلف فقه الفقهاء في فهم الوحي وسننه ودلالة توسيع استقرائهم اجتهادهم في استنباط الجزئيات من الكليات وفي تقعيد القواعد لها هندسة العلوم.

«التمييز ولكن ليس الفصل التام بين هذه العلوم الشرعية وبين العلوم المدنية البشرية الحضارية الإنسانية منها والطبيعية والتي موضوعها الكون - مادته وظواهره وعلاقاته - والنفس الإنسانية في مراتب اجتماعها وعلاقاتها فموضوعات هذه العلوم مدنية ومصادرها ليست الوحي والدين وإنما هي الكون والإنسان والاجتماع الإنساني».

وإذا كانت العلوم والمعارف الإلهية الشرعية هي إسلامية الموضوع والكليات والمنطلقات وفيها من العطاء

اجتهادات المجتهدين وفقه الفقهاء في الفروع والجزئيات وفي التقعيد فإن علوم الكون ومعارفه بشرية مدنية الموضوع والاكتساب والمصطلحات والإسلامية التي تعني إيجاد علاقة بينها وبين السنن الإلهية التي جاء بها الوحي في الكون والإنسان والاجتماع وكذلك توظيف هذه العلوم والمعارف عن طريق أسلمة فلسفتها لتحقيق المقاصد والغايات الشرعية التي حددها الوحي لحكمة الخلق لله سبحانه وتعالى للكون والإنسان

فعلاقة كتاب الوحي الإسلامي بالمعارف قائمة أو تحت ... تقوم في كل أنواع المعارف والعلوم لكن المدى المحقق للإسلامية في هذه المعارف والعلوم يتفاوت «كما وكيفا» في «الإلهي الشرعي» منها عن البشري المدني كما يتفاوت في «الإنساني - الاجتماعي» منه عن «الطبيعي»

هذا عن التعريف والضبط للمصطلحات هذا الشعار

(٢)
أمثلة .. وتطبيقات

وإن كان هذا هو معنى المصطلح والشعار «إسلامية المعرفة» ... أقامت العلاقة بين الإلهي و الإنساني في العلوم والمعارف والعلاقة المناسبة التي تقيم المعرفة الإنسانية على الساقين: «الإلهي» و «الكوني» فتحفظ بها وعليهما استواء الحق، وتعصمها من «الثنائية والانشطار»، وذلك دون أن تصبح «الإنساني» ... لها ... به قدسية الإلهي وثباته، ودون أن يصبح «الإلهي» إنسانيا كما هو الحال عند الذين جعلوا الدين وضعا بشريا وإفرازا للعقل الإنساني وثمرة من ثمرات الاجتماع الإنساني.. إذا كان هذا هو المعنى المراد من المصطلح والشعار على صعيد الإنسانية فإنه إسلامية المعرفة هي خاصة بهذه العلوم والمعارف «البشرية الإنسانية»، فهي التي من الممكن أن تكون إسلامية إن قامت العلاقة بينها وبين «كتاب الوحي» ومن الممكن أن تكون «لا إسلامية» إذا وقفت معارفها عند كتاب الوجود والأدوات الحسية للإدراك.

وإسلامية هذه المعارف معناها أن تصدر مداركنا وتصوراتنا ومعرفتنا لموضوعاتها عن استحضار أسس القوانين والضوابط والمقاصد الشرعية المتعلقة بها والتي جاءت في كتاب الوحي وفي بيانه النبوي أي اكتشاف علاقة كتاب الوجود»

في كتاب الوحي، أثناء دراسة وتطبيق هذه العلوم البشرية المدنية الحضارية

ولعل هذا الكتاب، عندما يركز على معنى إسلامية المعارف الإنسانية، لن يقيم الدليل – ولو بشكل سريع وغير مباشر – على «نهاية» «العلم الوضعي»، الذي زعمت مذاهب المعرفة المادية والوضعية بشريته؛ ولحسن الحظ فليست هذه [illegible] ذات الانتصار في واقعنا الفكري، وإنما القضية [illegible] التي تستحق التركيز عليها هي إسلامية أو لا إسلامية معارف وعلوم الإنسان

وإذا كان الأمر كذلك فلعل أمثلة مختصرة على [illegible] إسلامية المعرفة في بعض قضايا هذه العلوم والمعارف البشرية الاجتماعية منها والطبيعية – لعل أمثلة مختصرة على [illegible] تعنيه هذه العلاقة، المحققة للإسلامية أن تكون مفيدة بل وضرورية عند هذا الحد من هذا الكتاب

● فنحن مثلاً إذا درسنا علم الاقتصاد، باعتباره العلم الذي يبحث في مشاكل التوفيق بين الموارد المحدودة وحاجات الإنسان غير المحدودة والمتفاوتة في الأهمية [illegible] في علم تدبير الحلول لمشكلة الإنسان الاقتصادية [illegible] التي تتعدد فيها غاياته وتختلف أهمية كل منها، وتقل وسائل الوصول إليها مع إمكانية استعمالها في أغراض متضاربة[1]

[1] انظر في هذا التعريف: «معجم العلوم الاجتماعية» وضعه [illegible] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥م

إن نحن درسنا علم الاقتصاد بهذا الاعتبار فقط، كانت المعرفة الاقتصادية المستخلصة من هذه الدراسة مجردة من «الإسلامية»!

أما إن نحن درسنا الاقتصاد باعتباره علم تدبير إشباع وكفاية الاحتياجات في ضوء الموارد وعلى ضوء وفي إطار سنن الله والضوابط الشرعية والمبادئ والثوابت الإسلامية من مثل فلسفة الإسلام في الملكية .. الله هو المالك الحقيقي مالك الرقبة .. في الثروات والموارد والأموال .. ونظرية الاستخلاف والخلافة الإنسانية عن الله - سبحانه - للإنسان من حيث هو إنسان مستخلف عن الله في الموارد والثروات والأموال .. فهي ملكية مجازية - ملكية الانتفاع - المحكومة في الحيازة وفي الاستثمار وفي الإنفاق .. بمقاصد الشريعة التي هي بنود عقد وعهد التوكيل والاستخلاف.

إذا نحن درسنا الاقتصاد في ضوء هذا «الإطار الإلهي» تكون قد أقمنا علمه على ساقين واستقينا معارفه من مصدرين «كتاب الوجود» .. الموارد والاحتياجات .. و«كتاب الوحي» الفلسفة الإسلامية في الأموال .. وهنا تتحقق «الإسلامية» .. للمعرفة الاقتصادية على النحو الذي يميزها عن نظيرتها في الفلسفات والمناهج المادية والوضعية.

وإن حوار نبي الله شعيب - عليه السلام - مع قومه «أهل مدين» .. والحوار الذي أرخ له .. والذي حكاه القرآن الكريم .. حول المفاهيم الاقتصادية، وضوابطها الشرعية، وحول

التصنيفات والمعاملات الاقتصادية، المضبوطة بالضوابط الدينية أو المتحررة من هذه الضوابط. في هذا الحوار نموذج لهذا الذي نقول.

فشعيب عليه السلام يرى أن التوحيد والإيمان والصلاة والعبادة هي أساس يقتضي ضوابط للسلوك الإنساني في الاقتصاد والمعاملات المالية: توفية المكاييل والموازين بالقسط والامتناع عن بخس الناس أشياءهم في البيع والشراء والتحذير من الإفساد في الأرض... أي أنه على وعي بطبيعة العلاقة بين الدين وبين الاقتصاد في الحكم والتصنيفات.

أما قومه الذين عصوه فإنهم كانوا يرفضون الربط والعلاقة بين الدين وبين المعاملات المالية والاقتصادية، فهو يريد اقتصادا مضبوطا بضوابط الدين قائما على معارف الوحي والواقع، كليهما بينما هم يريدون الفصل ما بين الدين والاقتصاد!

هو يريد «إسلامية الاقتصاد» فالدين عند الله الإسلام في جميع الرسالات وعند كل المرسلين وهم يريدون تحرير الاقتصاد من العلاقة بالإسلام!

والقرآن الكريم يحكي هذا الحوار المجسد لهذه القضية والذي بدأه نبي الله شعيب عليه السلام مخاطبا قومه فقال:

﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ۝ ويا قوم أوفوا

المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (85) بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ﴾(1)

لكن قومه اعتبروه ... مستنكرين دعوته الإسلامية لاعتقادهم الفصل بين المعاملات المادية والصلوات الدينية؛ مدافعين عن مذهب تحرير الاقتصاد من العلاقة بالدين؛ فقالوا: ﴿يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد﴾(2)

لقد عجبوا من ربط دعوته بين التوحيد كمعتقد وضبط التصرفات المالية، فضبط الدين ودعوة التوحيد.

فرد عليهم شعيب، معلما إياهم أن الدين الذي جاء به نبيه لأنه يقتضي ضبط الأموال التي هي رزق الله، فضبطها لإصلاح الدين، وذاكرا لهم أنه يريد لهم الالتزام بما يلتزم هو به حتى لا يحل عليهم غضب الله الذي حل بالأقوام السابقين الذين عصوا نوحا وهودا وصالحا ولوطا عليهم السلام فقال:

﴿يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب (88) ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾(3)

(1) سورة هود: 84 – 86
(2) سورة هود: 87
(3) سورة هود: 88، 89

على هذا النحو حكى القرآن الكريم الحوار الذي دار بين شعيب وبين قومه حول علاقة كتاب الوحي .. وفقه الاقتصاد!!

فإذا حسب الإنسان نفسه سيد هذا الكون.. وعشق الإطلاق والأهلية الكاملة والحرية في التصرفات المالية والتدابير الاقتصادية.. فلن يراعي.. في طرائق الكسب والاستثمار والإنفاق.. إلا منفعته ولذته ومصلحته.. وفق معاييره الإنسانية المحكمة في المنفعة واللذة والمصلحة.. وهنا يكون الاقتصاد متحررًا من ضوابط الوحي والدين.

أما إذا أقر الإنسان بأنه ليس سيد هذا الكون.. وإنما هو خليفة عن سيد هذا الكون وخالقه ورازقه.. سبحانه وتعالى.. وأنه ليس مالك الرقبة.. المالك الحقيقي.. والمطلق الحرية في الأموال والموارد والثروات.. وإنما هو وكيل ومستخلف في هذه الموارد والأموال والثروات.. فإن طرائقه وقواعده في الكسب والاستثمار والإنفاق لابد وأن تكون.. إذا أراد أن يكون مطيعًا لمن استخلفه.. محكومة ومضبوطة بالإطار والفلسفة والمبادئ المتمثلة في عقد وعهد الاستخلاف.. أي الفلسفة الشرعية في الأموال.. وهنا ينضبط الاقتصاد بكافة التصويبات الإسلامية التي جاء بها الوحي.. في الكسب والاستثمار والإنفاق.. من مثل فلسفة الإسلام في الملكية والتجارة.. وأحكامه في الكنز والاحتكار.. والفروض التي فرضها الله في الأموال.. والقواعد التي قررها للمعاملات.. إلخ.

وهنا بإقامة هذه العلاقات بين آيات الاقتصاد في كتاب الوحي وبين نتاج الاقتصاد من كتاب الكون نحقق إسلامية الاقتصاد في المعرفة وفي التطبيق.

وإن نحن درسنا علم السياسة سياسة المجتمع والدولة والعلاقات الدولية باعتبار السياسة هي الأمر [illegible] والتصور والفعل بما هو ممكن من الخيارات [illegible] والمحتملة تحقيقا للمصلحة [illegible] مطلق المصلحة والمنفعة مطلق المنفعة، واقتصر بهذا العلم عند كونه من ممارسة [illegible] الحكم وعلم السلطة أو الدولة وفرع العلم السياسي الذي يبحث أصول الحكم وتنظيم شؤون الدولة تدبير [illegible] فيه بجودة والإتقان.

وإن نحن درسنا علم السياسة باعتبار أن هذه هي مضامينه ومقاصده كانت دراسته متحررة ومتحللة من الإسلامية فلا تكون السياسة عندئذ سياسة شرعية، وهذا ما يتجلى في دراسة السياسة هو مدى جعلها في المنظور الغربي ممارسة صرفة [illegible] دون التقيد بقيم [illegible] الشرعية، فبررت الغاية كل الوسائل بصرف النظر عن مدى أخلاقية تلك الوسائل فكان الصراع والقوة أهم العناصر الرئيسية في المفهوم الغربي للسياسة[1].

[1] انظر في هذه المصادر: [illegible] المعجم [illegible] [illegible] القاهرة سنة 1969م، ومعجم العلوم الاجتماعية [illegible] سنة [illegible]، والقاموس [illegible] القاهرة سنة 1969م، والموسوعة السياسية [illegible] سنة 1983م.

اما اذا نحن اقمنا العلاقة بين «الاسلامية» وبين «المعرفة السياسية» أي الصلة بين «الشرعي» و«المدني» في هذا العلم الذي هو من العلوم الانسانية المدنية فإننا سنضبط مفاهيمه وممارساته بالمنطلقات والمقاصد الشرعية.

وهذه العلاقة بين «الشرعي» و«المدني» لن تجعل السياسة دينا خالصا ومقدسا ثابتا - لأنها ليست من أركان الدين وأصول الاعتقاد وثوابت الشرع، ولم ينزل الوحي وينطق الرسول ﷺ بكل ما هو لازم لها وفيها. كما أن إقامة هذه العلاقة بين «الاسلامية» وبين «المعرفة السياسية» لا تعني بحال من الأحوال تجاهل الواقع السياسي وخبراته ولا التقليل من مكانته في المعارف السياسية، ولا تجاهل المصلحة والمنفعة المستفادة من علم السياسة وإنما تعني هذه العلاقة الاضافة الى «الواقع» وضبط خبراته وليس الغاءه وتجاهله والغض من قيمته وضبط «المصلحة والمنفعة» وليس تجاهلها فهي تضيف الى «الواقع» كمصدر للمعرفة السياسية مصدر «الوحي» بسننه الالهية في الاجتماع الانساني وبالقيم وبالكشف عن المقاصد الشرعية والحكم المراد تحقيقها من الاجتماع والمجتمعات وتضبط «المصلحة والمنفعة» حتى تكون «المصلحة الشرعية المعتبرة» وليس المصلحة المطلقة والمتحررة من أخلاقيات الدين.

فهي العلاقة التي تضيف وتضبط: تضيف «للواقع المادي» و«للمعرفة الحسية» وتضبط «الخبرات» المختارة بالمقاصد الشرعية التي حددها الاسلام للسياسة أساسا.

وعندئذ لن نجد السياسة «فن الممكن من خيارات الواقع» هكذا بإطلاق.. وإنما سنجدها «الأفعال والتدابير التي تكون الناس معها أقرب إلى الصلاح» بالمعنى الإسلامي.. «وأبعد عن الفساد» بالمعنى الإسلامي.. «حتى وإن لم ينزل بها الوحي أو يشرعها الرسول».. كما قال واحد من علماء السلف هو: ابن عقيل البغدادي [٤٣١ - ٥١٣هـ / ١٠٤٠ - ١١١٩م]

ونجد في السياسة عديد الكليات والمبادئ الثوابت التي تمثل «أطر» «الجزئيات» الفروع المتغيرات التي تتطور بحسب «المصلحة الشرعية المعتبرة» ووفقاً لاختلافات الأزمان والأماكن وتبدل العادات والأعراف[1]

وفي «السياسة الشرعية» سنجد للدولة السلطة معنى متميزاً عن معناها في «السياسة الحديثة» غير الإسلامية فهي ليست الجهاز المحايد بين طبقات وفرقاء مختلفة وليست جهاز القوة والقهر للطبقات والفرقاء المحرومين من السيطرة والسيادة فيها وإنما هي دولة التوازن بين الفرقاء المختلفين المتعددين في مجتمعها فالتوازن هو التوسط أي العدل بين الفرقاء المتعددين

● ففي قانونها توازن بين مبادئ الشريعة التي هي حاكمية الله «الثوابت» وبين فقه المعاملات الفروع الذي هو

---

1 انظر ابن القيم [إعلام الموقعين] ج ٤ ص ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٦ طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م و[الطرق الحكمية في السياسة الشرعية] ص ١٧، ١٩ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م

تمرد لاجتهاد مجتهدي الأمة ينمو ويتطور مواكبة للمصالح الشرعية المعتبرة

• وعلى قدر ما بها موازين [illegible] ولاة الأمر [illegible] جماعة الأمة [illegible] الأمور [illegible] في مرتبة الاجتهاد [illegible] ولا عصمة [illegible] الأمة فلإجماعها العصمة [illegible] لا تجتمع على ضلالة[1] [illegible] الرسول [illegible] الذي هو معصوم فيه لا ينطق عن الهوى [illegible] والاجتهاد البشري والأسباب والتدابير [illegible] وعلى هذه الاجتهادات [illegible] في مرض موته [illegible] صعد المنبر وخطب الناس [illegible] فيها أيها الناس من كنت جلدت له ظهرًا فهذا ظهري فليستقد[2] منه، ومن كنت شتمت له عرضًا فهذا عرضي فليستقد منه، ومن أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يخشى الشحناء من قبلي فإنها ليست من شأني»[3].

فالعصمة للأمة [illegible] وعلى غرار الحكم في الاجتهاد [illegible] حتى ولو كان نبيًا ورسولاً،

[1] [illegible]

[2] أي فليقتص.

[3] [السيرة النبوية] لابن كثير ج٤ ص٤٠١ [illegible] في سيرة سيد [illegible] ج١ ص٣٨٨ [illegible] وتحقيق د. محمد عمارة – طبعة بيروت سنة ١٩٧٧م

• وتعد الشورى للأمة مقصد السيادة وحاكمية الشريعة التي هي وضع النبي [illegible] وفي ذات الوقت هي شريعة [illegible] على مرتبطة [illegible] وضرورة شرعية واجبة [illegible] حق [illegible] [illegible] في [illegible] حتى على رسول الله [illegible] وشاورهم في الأمر [illegible] [illegible] وأمرهم شورى بينهم [illegible] وفي سيرة [illegible] ورسول الله [illegible] [illegible] الأعظمة [illegible] في كل [illegible] ورسول الله [illegible] لأبي بكر وعمر: لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما [illegible] كل مؤمن [illegible] دون مشورة المؤمنين لأمرت [illegible] عبدالله بن مسعود

وعلاوة على [illegible] الشورى للأمة [illegible] هو [illegible] الدولة على الأمة [illegible] مشروط ومرهون [illegible] الدولة [illegible] [illegible] على أولي الأمر [illegible] على أولي الأمر [illegible] في الموضعين [illegible] في القرآن الكريم [illegible]

(١) سورة آل عمران ١٥٩

(٢) سورة الشورى ٣٨

(٣) رواه الإمام أحمد

(٤) رواه الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد

«الجماعة» لا «الفرد». وربط الطاعة لأولي الأمر بكونهم من الأمة: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[1] وقوله: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾[2] فهو يزكي القيادة الجماعية الشورية للدولة، ويشترط لطاعة أولي الأمر من عين الأمة، أن يكونوا منها، أي موضع اختيارها، ومصدر ثقتها، وأهلا لقيادة دولتها، وسياسة مجتمعها، وتمثيل مصالحها الشرعية المعتبرة.

● وسنجد في إقامة هذه «الدولة» التعددية في إطار الوحدة: تعددية أهل الشرائع الدينية المختلفة في إطار الإيمان الديني، وتعددية للتيارات التي تتنوع اجتهاداتها في الفروع داخل إطار الوحدة في الأصول..

سنجد ذلك - ومثله كثير - في «دولة» السياسة الشرعية، التي تتميز «معرفتها السياسية» - الإسلامية - بأن قامت العلاقة بين ما هو «شرعي» وما هو «مدني» في هذا العلم من علوم الإنسانية.

● وإذا نحن رتبنا موضوعات العلم الزراعي - مثلا - وبذوره ومياهه ومناخه... فإن حقائق هذا العلم وقوانينه - ككل واحد من العلوم الطبيعية - لن تتغاير بتغاير معتقدات وحضارات وقوميات وسياسات الدارسين... ففي العلوم التي تتميز

(1) سورة النساء: 59.

(2) سورة النساء: 83.

«موضوعاتها» بالثبات والحياد تتميز حقائقها وقوانينها في الأخرى بالثبات والحياد فهي مشترك إنساني عام ليس فيه شرقي وغربي أو إسلامي ومسيحي أو مؤمن وكافر، فالواقع هو مصدر معرفتها والمحسوس هو أداة المعرفة فيها

لكن إسلامية العلم الزراعي تعني عندما تقيم العلاقة بين المقاصد الشرعية من الزراعة وبين تطبيقات وتوظيف حقائق وقوانين هذا العلم الزراعي أي عندما تقيم العلاقة بين خصوصية «الإسلامية» في «فلسفة العلم الزراعي» وبين حقائق وقوانين الزراعة التي هي مشترك إنساني عام

فحقائق وقوانين العلم الزراعي ككل حقائق وقوانين العلوم إذا نحن وظفناها في دعم الإيمان بخالق هذا الكون الذي أمرنا بالنظر والتدبر والذي أعاننا عليه فنكون هنا في الموقف إلى العلماء الذين هم أكثر خشية لله لأنهم الأكثر معرفة بأسرار العلوم الكاشفة عن بعض أسرار الله في الأكوان ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(1)

أما إذا لم نوظف الحقائق العلمية هذا التوظيف الإيماني فإنها قد تقود وتفضي إلى علماء لا يعلمون سوى ظاهر من الحياة الدنيا ومن ثم يقودهم الغرور إلى تأليه العلم والعلماء باعتباره «دين العصر» وباعتبارهم «الروحانيين الجدد» وقد شهدنا عندما تقدمت العلوم في أوربا حديثا وفي ظل

(1) سورة فاطر: 28

«الفلاحة والزراعة» [illegible] علماء [illegible] صحبة مبكرة فقالوا [illegible]

[illegible] تعالى [illegible] على [illegible]

ووجه [illegible] فكما يمكن توظيف حقائق العلم [illegible] الإيمان [illegible] والزراعة [illegible] توظيف [illegible] لتحقيق مقاصد الشريعة [illegible] وفي المحرمات [illegible] كذلك [illegible] حقائق الزراعة [illegible] للمعتقد [illegible] في الزراعة [illegible] الإسلامي حقائق وقوانين الزراعة

[illegible] كلمة [illegible] التي تستخدم في تسميد الأرض الزراعية هي [illegible] في العلم الصحيح الذي هو مشترك إنساني عام [illegible] الحضارات والفلسفات [illegible] «خصوصيات حضارية»

لكن فلسفة استخدام وتوظيف هذا العلم [illegible] باختلاف المقاصد وأهداف الحركة [illegible] وباختلاف نظرتها [illegible] للأرض والبيئة [illegible] هذه الكلمات

• فالحفاظ على التوازن بين المكونات الطبيعية والقوى الذاتية والعناصر الحية للأرض الزراعية وبين طاقاتها في الإنتاج الزراعي وقدرتها على العطاء هو موقف وفلسفة تحكم استخدام «كيمياء التسميد» بالقدر الذي يحقق هذا التوازن

أما فلسفة «قهر الأرض» النابعة من فلسفة «قهر الإنسان للطبيعة» التي تعطي لأكبر عدد مادي ووفر محصول في أقصر وقت بصرف النظر عن الأذى الذي يصيبها عندما تختل توازن تركيبها نتيجة الصناعي على الطبيعي فتصيب وعلى حساب مستقبلها والذي هو مستقبل الأجيال التي تحيا عليها. أما هذه الفلسفة فلسفة قهر الطبيعة فتعتمد على معدلات الوفرة المادية في اللحظات الآنية فلسفة «واعمل من أجل الحاضر الذي تعيشه بأي ثمن» وبصرف النظر عن النتائج، فإنها هي التطبيقات التي تتغاير وتختلف باختلاف الفلسفات والعقائد والحضارات.

ويصبح مثال مشروع الغابات هو المثل في فهم الغابات وبهذا الاستزراع قوامه وحقيقته العلمية للغابة وأسسه كما أن قطع أشجار الغابات هو المثل الذي يحصل على الخشب وسرعة نموه وقوة سيقانه للغابة، وبين هذا مقاييس على حقائق وقوانين الاستزراع للغابات ولا على حقائق وقوانين الفطرة لاختلافها بتغير مذاهب الأمم والحضارات والديانات.

لكن إزالة الغابات وتجريد الأرض منها بسبب زرع محاصيل بالمحاصيل الأخرى أو للانتفاع بأخشابها أو لإقامة المشروعات غير الزراعية عليها أو بإزالتها بالتلوث وبالحروب دون اعتبار العامل الثوري البيئي الذي يحفظ وجودها عليه ويحس به فتصبح إزالتها هي فلسفة مدمرة في النظر إلى الطبيعة، وفي التعامل مع البيئة والمحيط الحيوي. فلسفة التي

نشهد اليوم آثار شيوع تطبيقاتها في صور الإخلال بتوازن البيئة، الأمر الذي يجر على الإنسانية الكوارث والمخاطر الجسام

إن الفيضانات والسيول التي تعاني منها بلاد عدة في سنيها الأخيرة الهدامة، لها علاقة عضوية بتجريد جبال الهملايا من غاباتها وإن الجفاف الناشئ عن نقص مواسم وندرة الأمطار التي تسقط على بلاد القارة الأفريقية هو ثمرة مرة لتجريد هذه القارة من غاباتها!

ومثل هذه الأمراض تحدث وتشيع في أمريكا اللاتينية في حوض الأمازون – وغيرها من المناطق التي وظفت فيها حقائق العلم الطبيعي وقوانينه لتحصيل أكبر عائد مادي في أقصر وقت، بصرف النظر عن تأثيرات ذلك على توازن البيئة والمناخ!

وقس على ذلك قضية «كيمياء المبيدات الحشرية» تلك التي لا تتغير هي الأخرى حقائق علمها وقوانين تجاربها، ولكن فلسفات توظيفها، والسياسات استخداماتها هي التي تتغير [illegible] وكانت تعرف هذه التطبيقات [illegible] قائمة على الحفاظ على توازن الوجود والأحياء [illegible] كل الأحياء وحماية الأحياء [illegible] وعلى عناصر الوجود كل ظواهر الوجود [illegible] على النحو الذي تؤدي فيه هذه الأمور وظيفتها في [illegible] وفي الحفاظ على الوجود [illegible] ومن حال [illegible] لأسبابها [illegible] فيما [illegible] فيه فلسفة [illegible] التحديثة من تطبيقات [illegible] الثمرات!

فحقائق العلم الطبيعي لا تتغاير، وقوانينه لا تختلف بتغاير واختلاف العقائد والفلسفات والحضارات، لكن فلسفة تطبيقه، ومقاصد توظيفه هي التي تختلف وتتغاير باختلاف المعتقدات وبتغاير الحضارات.

إننا مدعوون - انطلاقا من الإسلامية فلسفة للعلم الطبيعي - إلى التفكر في آيات كتاب الوحي التي أشارت إلى كروية للأرض: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾(١)

ونحن مدعوون كذلك إلى النظر في الآيات التي تحدثت عن التوازن والميزان بين كل أنواع الخلق وسائر أصناف المخلوقات.

* * *

إن التعددية في الألوهية - ونفي التوحيد - هي - بالدليل العقلي - مصدر الفساد والإفساد في المخلوقات: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٢) بينما التعددية والتوازن للقرناء المختلفين في كل عوالم الموجودات التي خلقها الله متعددة التنوع: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣) ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٤)

(١) سورة النبأ: ٦ - ٨.
(٢) سورة الأنبياء: ٢١، ٢٢.
(٣) سورة الرعد: ٣.
(٤) سورة الذاريات: ٤٩.

سنن هذه المعادلة في المخلوقات والتوازن بين قوانينها هي المقتضية للعدل والصلاح في هذه المخلوقات وصدق الله العظيم يقول: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ (1)

والمعادلة في طبقات الأرض وفي مكوناتها وقيام التوازن بين هذه الطبقات وهذه المكونات والمعادلة في طبقات السماء وفي مكوناتها وقيام التوازن بين هذه الطبقات وهذه المكونات هو المعبر عن معالم إسلامية المعرفة في فلسفة علوم الطبيعة التي تدرس ظواهرها وقوانينها وما فيها من ثروات وطاقات

وهذا هو معنى «إسلامية فلسفة العلم الطبيعي» التي تقف عندها إسلامية المعرفة في العلوم الطبيعية ولا تتعداها إلى حقائق وقوانين هذه العلوم التي هي بنت التجربة كمصدر أول لاكتشافاتها ولتطورها

وقس على هذا المثال ما نعنيه بإسلامية المعرفة في العلوم والمعارف الطبيعية الأخرى فحقائق وقوانين هذه العلوم لا تتمايز بتمايز المعتقدات والحضارات، لكن توظيفها يختلف باختلاف فلسفة العلم التي يعتنقها أهل التطبيق والتوظيف لهذه الحقائق والقوانين ومثل ذلك الطب والصيدلة والكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم البحتة الكونية

(1) سورة العلق ٦، ٧

● وإذا نحن نظرنا إلى علاقة الإنسان بالكون نجدها علاقة صداقة وقوة التي سخرها الله سبحانه وتعالى لبني الإنسان إكراما له وتكريما، وقد ورد ذلك في بعض آيات كثيرة من القرآن الكريم: ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار (٣٢) وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار﴾[1] ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾[2] ﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾[3] ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾[4] ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾[5] ﴿الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون (١٠) والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون (١١) والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون (١٢) لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾[6] ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه

(١) سورة إبراهيم ٣٢، ٣٣
(٢) سورة النحل ١٢
(٣) سورة النحل ١٤
(٤) سورة الحج ٦٥
(٥) سورة لقمان ٢٠
(٦) سورة الزخرف ١٠ – ١٣

بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (12) وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[1] ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (36) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين﴾[2]

إذا نظرنا إلى العلاقة بين الإنسان وهذه الظواهر والقوى التي سخرها الله سبحانه وتعالى له فكيف ستكون هذه العلاقة إذا كانت إسلامية منضبطة بضوابطها عن حالها إذا ما تحررت من ضوابط الإسلام

فتسخير ظواهر الطبيعة وقواها وكنوزها لتحقيق خير الإنسان وطمأنينته هي فلسفة هذه العلاقة والإخلال بعلاقات التوازن هو مما يتنافى مع المعنى الإسلامي لمصطلح التسخير، تسخير الله هذه الظواهر والقوى والكنوز للإنسان.

فقيد «التسخير» هو سوق وقهر من الله لهذه الظواهر والقوى ولكنه بالنسبة للإنسان يعني الارتفاق، لقد سخرها الله لنرتفق عنها وبها فنكون بها مرتفقين مرتفقين به ولا نسلط عليها إلا بالرفق بالحيوان الذي سخره الله وليس قهر الرفق وتدميره مما يتنافى مع حكمة خلقه وتسخيره للإنسان».

(1) سورة الجاثية: 12، 13

(2) سورة الحج: 36، 37

تلك هي سلامة علاقات الإنسان بظواهر الطبيعة ومقومات الأرض بطبقاتها وبحارها وأنهارها وغلافها وجبالها، والسموات بطبقاتها وكواكبها ونجومها وأقمارها، وما بين السماء والأرض من الهواء.

فهذه العلاقة الإسلامية، بحفظ الإنسان لا سلامته وسلامتها فقط، وإنما يحفظ سلام وسلامة صفحات كتاب الكون عندما يحافظ على التوازن والاتزان والميزان في هذه «الصفحات» في هذا «الكتاب»!

ونحن إذا تأملنا مدلولات مصطلح «الميزان» وبعض مشتقاته في المواطن التي جاءت بها في القرآن الكريم، في سياق الحديث عن الطبيعة ومقوماتها وظواهرها وآياتها، سنكتشف أبعاد خطر هذا المعنى الإسلامي لعلاقة الإنسان بهذه القوى والظواهر والآيات التي سخرها الله وسخرها لهذا الإنسان: «والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون * وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين * وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم * وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين»(1) فحافظوا في علاقتكم بهذه الآيات الكونية على الميزان، والقدر الإلهي.

«الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان»(2) «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط»(3) فكما أنه

(1) سورة الحجر ١٩ - ٢٢ (2) سورة الشورى ١٧

(3) سورة الحديد ٢٥

[illegible] بالحفاظ على [illegible]
[illegible] على [illegible]
كتاب الكون والوجود».

ومن [illegible] حقيقة [illegible] في «[illegible] العلاقة [illegible]» [illegible] في «كتاب الكون»، يراها [illegible] هو تدبر الآيات الأولى من سورة الرحمن: [illegible] خلق الإنسان (٣) علمه [illegible] والنجم والشجر يسجدان (٦) [illegible] ألا تطغوا في الميزان (٨) وأقيموا الوزن [illegible] والأرض وضعها للأنام (١٠) فيها فاكهة [illegible] فبأي آلاء ربكما تكذبان [illegible] الإنسان من صلصال كالفخار [illegible] فبأي آلاء ربكما تكذبان [illegible] فبأي آلاء ربكما تكذبان [illegible] فبأي آلاء ربكما تكذبان [illegible] فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢٣) [illegible] في البحر كالأعلام (٢٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان [illegible] صدق الله العظيم.

[illegible] في «كتاب الكون» [illegible] علاقات [illegible] على هذا [illegible] عندما [illegible] هذه [illegible] السلام [illegible] مع [illegible] الوجود [illegible] السلامة له ولآيات هذا الوجود.

(١) سورة الرحمن ١ - ٢٥

وبعد هذا التعريف أصبح لمصطلح «إسلامية المعرفة»

وبعد الإشارة الموجزة لأسئلة ... على ... هذه

الإسلامية للمعرفة في العلوم الإنسانية والاجتماعية وفي

العلوم الطبيعية وفي علاقات الإنسان بظواهر ... الكون

والوجود»

يستطيع ... أن جوهر القضية وحقيقة الخلاف بين

إسلامية المعرفة وبين لا إسلاميتها هو الاعتراف بوجود

علاقة بين مصدر الوحي وبين مصدر الوجود كمصدرين

للمعرفة الإنسانية ... أو نفي وجود هذه العلاقة

وبتعبير آخر هل هناك سبيل آخر غير الحواس

وتجاربها ... هو سبيل الوحي ... لإدراك وتصور وضبط

معارف الإنسان في الوجود الطبيعي والإنساني ... أم أن

الحواس وتجاربها هي مصدر المعرفة الحقة والوحيد

في هذه العلوم وما عداها ثمراتها من المعارف هو

«ميتافيزيقا» و«خيال»؟

وصياغة أخرى للقضية بقدر أن الله سبحانه وتعالى

على محمد بن عبد الله ﷺ وحيه بالقرآن الكريم فكان

موضوعا لعلوم الشريعة في حضارتنا الإسلامية ثم

ونشأت وتطورت وبحث للمسلمين علومهم الحديثة البشرية

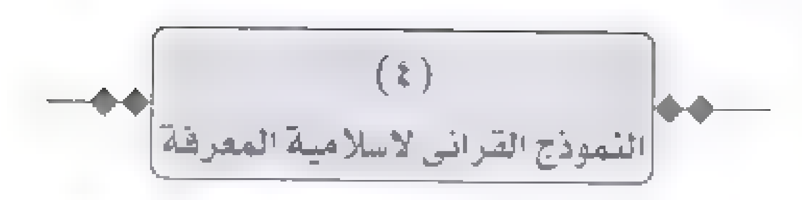
الحضارية، فهل كان للوحي وعلومه علاقات بعلوم

«الحضارة الغربية وتأثيرات فيها صنعتها مراحل متفاوتة وصنعتها على أنحاء مختلفة مصطلحة الوحي وصولا للشرع الإلهي إذ إن العلاقة مفككة والصلات مقطوعة بين بناء الإيمان الديني و بناء التمدن الحضاري»

إن القائلين بـ إسلامية المعرفة يجيبون على هذا السؤال بـ نعم» لأنهم لا يفصلون في مصادر المعرفة بين كتابي «الوحي» و«الوجود».

بينما الجاحدون لإسلامية المعرفة يجيبون على هذا السؤال بـ لا لأنهم لا يرون للعلوم الحضارية من وحي للعلوم الدينية مصدرا سوى الواقع الذي تدركه الحواس فلا شيء غير الواقع ولا سبيل للمعرفة سوى الحواس

تلك هي القضية قضية إسلامية المعرفة في حقيقتها وفي جوهرها



(٤) النموذج القرآني لإسلامية المعرفة

وكما سبقت إشارتنا، فإن إسلامية المعرفة كمنهج ثقافي ورسالة فكرية، وكمنهج معتمد في دراسة المعرفة الإسلامية، ليست جديدة جدة هذا المصطلح الذي تعرف به الآن، بل إنها قديمة قدم حضارتنا الإسلامية التي اعتمدتها وتبنتها كبديل إسلامي للمعرفة [illegible] و[illegible] معرفة تجريبية والمشركين الذين لم يروا للمعرفة مصدرًا سوى الواقع المحسوس، ولم يتصوروا لهذه المعرفة أدوات ووسائل سوى الحواس. [illegible] اعتمدت حضارتنا هذا المنهج المتميز منذ ظهور الإسلام.

وشاهدنا على هذه الحقيقة هو كتاب الإسلام الأول القرآن الكريم.

وفي اعتقادنا أن بالإمكان بل إنه من الواجب استخلاص منهج كامل مدعم بالشواهد لإسلامية المعرفة من القرآن الكريم.

ولكن مقام هذه الدراسة لا يسمح بالإطالة في عرض هذا النموذج القرآني لمنهج إسلامية المعرفة، فإن بحسبنا من الإشارات لعدد من الآيات القرآنية التي عرضت لهذه القضية كافية لإقامة هذا [illegible]، وتبيين مذاهب القرآن في هذا الموضوع.

● فنحن عندما نتأمل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾(١)

[illegible] المعرفة [illegible] الحواس [illegible] المحسوس [illegible] في [illegible] مستقرة في [illegible] وهذه هي المعرفة الحسية [illegible] هؤلاء [illegible] سوى «العين» = «الحاسة»

أما المنهج الإيماني [illegible] يرى للمعرفة مصدراً [illegible] غير الموجود [illegible] هو الوحي [illegible] ويرى في العوالم عالم الغيب وليس فقط عالم الشهادة [illegible] ويعتبر المعرفة [illegible] مع المحسوس. أما هذا المنهج الإيماني [illegible] يرى في العقل [illegible] فهو أكثر من [illegible] حصوبة [illegible] يرى فيه [illegible] للتفكر [illegible] والنطقة [illegible] التي [illegible] الحسي [illegible] وفي حقيقة الإنسان [illegible] التي [illegible] كما عرفه الإسلاميون [illegible] على [illegible] فقه القلوب [illegible] على [illegible]

● ونحن عندما نتأمل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿[illegible] غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع

(١) سورة الحج: ٤٦

لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم * وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون(١).

عندما [illegible] «بالحواس» وحقائق الوجود [illegible] على سطح [illegible].

لكنه [illegible] هو فوق ذلك [illegible] محسوس [illegible] كتاب الوحي [illegible] محسوس [illegible] «محسوسا» في كتاب «الوجود».

فالوقوف عند [illegible] الطريق [illegible] حسي [illegible] في العلم والمعرفة [illegible] الوجود [illegible] الدنيوي – وحده.

[illegible] المعرفة [illegible] الوحي والوجود [illegible] كلاهما [illegible] الوجود [illegible] ولا تدركها الحواس وحدها [illegible] العقل الإنسانية [illegible] الغيب [illegible] الآخرة [illegible] «الوحي» – نبأ السماء العظيم.

(١) سورة الروم ٧

● وإذ نحن تأملنا قول الله سبحانه وتعالى ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون (٢٣) وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون (٢٤) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾(١)

إذا نحن تأملنا هذه الآيات، وجدنا نموذج ذلك الذي عبد الحس والهوى فلا يبغي ما وراء المادة والواقع المحسوس، ووقف بعلمه دون العلم الإلهي الآتي بواسطة الوحي، أي وقف به في إطار العلم الدنيوي وحده، وحال بين سمعه وقلبه وبصره وبين تجاوز الواقع المحسوس.

فإذا جاءته آيات الله، غير المادية، وبراهينه التي لا تقف في البرهنة عند الحواس وحدها، ظل منصرفًا عنها مستمسكًا بالمحسوس وحده كمصدر وحيد للمعرفة وبالحواس فقط كسبيل وحيدة للإدراك وسبيل طلب أن يأتي له بالموتى من آبائه ليرى منهم ويسمع بالبصر والسمع الحسيين نبأ البعث وخبر النشور. فهو يريد أن يعرف بالمحسوس معارف العالم غير المحسوس!

فمعرفة هؤلاء حسية مادية لا دينية – غير إسلامية – لا ترقى إلى العلم الذي هو إدراك الشيء على ما هو به وإنما مبلغها أن تقف عند الظن الذي لا يغني من الحق

(١) سورة الجاثية: ٢٣ – ٢٥

شيئا في بعض الأحيان ولا يعيى من خلق كل شيء في أحيان أخرى

● وعندما نتدبر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾[1]

عندما نتدبر هذه الآيات نعلم أن هذا الذي مر على القرية الخاوية على عروشها لم يدرك إلا ما تحسه الحواس [illegible] من هذه التجربة إلا [illegible] المادي المحسوس [illegible] محصور إدراكه [illegible] ليس [illegible] الذي بدأ الخلق [illegible] مرة أخرى [illegible] الله سبحانه وتعالى [illegible] المحسوس من حسه المادي [illegible] عنده [illegible] قال أعلم أن الله على كل شيء قدير[1]

● وعندما نتدبر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين (77) وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم (78) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم (79) الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون (80) أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾[2]

1 سورة البقرة 259 — 2 سورة يس 77 - 81

عندما نتدبر هذه الآيات نراها تعرض [illegible] الذي لم يستطع [illegible]

[illegible] المحسوس [illegible] على وجه الصحة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] المحسوس

[illegible] الأجسام التي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] على آخر [illegible] الميت [illegible]

والموت [illegible] محسوس [illegible]

ولكنه وقف في مجال المعرفة والإدراك عند المحسوس و«الحواس» لا يتعداهما.

● وعندما نتفكر في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ۝ وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا ۝ قل كونوا حجارة أو حديدا ۝ أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا﴾[1]

وكذلك قوله سبحانه: ﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا ۝ أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا﴾[2]

(١) سورة الإسراء ٤٨ - ٥١ (٢) سورة الإسراء ٩٨ - ٩٩

عندما نفكر في هذه الآيات نجد كيف أن الذين لم يشهدوا بالحواس [illegible] خلق السماوات والأرض ﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾(١) فهؤلاء الذين لم يشهدوا بالحواس خلق أنفسهم [illegible] لا يستطيعون [illegible] يشهدون [illegible] أنهم لم [illegible] عندهم من العلم [illegible] لأنهم قد أشركوا ولم يحصلوا المعرفة غير التي يحصلونها بالحواس.

● وعندما نتدبر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون (٣٣) ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون (٣٤) أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون (٣٥) هيهات هيهات لما توعدون (٣٦) إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين (٣٧) إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين﴾(٢)

عندما نتدبر هذه الآيات نرى كيف أفضى المنهج [illegible] بأصحابه إلى الإصرار على الكفر الصريح.

لقد أعلن الترف قد ركبهم ثم أشركوا [illegible] عقولهم فكذبوا رسولهم عندما لم يدركوا [illegible] صدق [illegible] وألوهيته، ووقفت [illegible] عند [illegible] هو محسوس [illegible] علم المدركات [illegible] الحواس [illegible]

(١) سورة الكهف: ٥١

(٢) سورة المؤمنون: ٣٣ - ٣٨

مثل «السمع والابصار»

[illegible]

التراب والعظام»(١)

[illegible]

(١) سورة الصافات ١٤ – ١٧

الذي جعل أصحابه لا يدركون من الآيات من وراء ما لا تدركه الحواس، فهم يستبعدون في السخرية من هذه الآيات غير محسوسة حتى لقد حسبوها لأعقابهم أدوات التركيب مجرد سحر خادع للحواس، وكيف أيضاً لم يروا فيما بعد البعث لأنه مما تدركه الحواس من واقع تحول الأجساد إلى تراب وعظام!

هكذا وعلى هذا النحو وأمثاله عرض القرآن الكريم كثيراً من الأمثال التي ضربها شواهد على قصور المعرفة الحسية وحدها عن أن تدرك ما يجب أن تدركه للإنسان، وعجزها عن أن تتصور حقائق عالم الغيب، فتؤمن به أو أن تجحد بما في كتاب الوحي وما السماء من حقائق لا تدركها الحواس وحدها.

عرض القرآن لهذه الأمثال القائمة لمقاصد المنهج المتكامل في المعرفة، ذلك الذي يزاوج بين كتاب الوحي وكتاب الوجود مصدرين للمعرفة الإنسانية، ويعتمد كل سبل الإدراك والتصور تحصيلاً للمعارف والعلوم على اختلاف مصادرها.

فهو المنهج الذي يقيم العلاقة بين الوحي والوجود بين الشرعي والمادي: منهج الشمولية المعرفية.

لقد كان القرآن الكريم وهو كتاب المسلمين الأول الذي خرجت حضارتهم منه واستقوا من بين دفتيه، كان ولا يزال المصدر الأول لصياغة هذا المنهج الإسلامي المتميز في المعرفة

● فهو يطلب منا أن ندرك ونتدبر آيات كتاب الوحي المقروء: «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها»(1) والتدبر هنا لا يدركه الإنسان بمجرد الحواس، فلا يقتصر على [illegible] ولا يستطيع استيعابه [illegible] يتحقق [illegible] المطلوب، وإنما هو [illegible] من على أبواب [illegible] «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب»(2) وهنا يجب أن يكون [illegible] العقل [illegible] التدبر والتذكر في آيات هذا الكتاب الكريم.

● وهو [illegible] القرآن الكريم [illegible] كتاب النظر والتفكر في آيات الكتاب الكوني المنظور: «أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير، قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير»(3) «إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون، فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم، وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون، وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون، وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون»(4) فالذين يذكرون الله قياما وقعودا

---

(1) سورة محمد ٢٤
(2) سورة ص ٢٩
(3) سورة العنكبوت ١٩، ٢٠
(4) سورة الأنعام ٩٥ - ٩٩

وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾[1] ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾[2] ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[3]

● من وظيفة القرآن الكريم أن كلا من شقي المصدرين للمعرفة [illegible] إلى كليهما [illegible] النبي و [illegible] وتدبير إلهي

فإذا كان القرآن الكريم — كتاب الوحي — هو الإبلاغ الإلهي، وإذا كانت السنة النبوية الثابتة الصحيحة هي البيان النبوي لهذا الإبلاغ الإلهي فنحن قد عرفنا ونتلقى هذا المصدر للمعرفة من الرسول والرسالة المعصومة

على حين نحن نتلقى علوم الكون والإنسان من [illegible] الحكمة [illegible] وفق التعريف النبوي لها [illegible] الإصابة في غير النبوة[4] ووفق المعنى اللغوي لها [illegible] معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم»[5]

فنحن نتلقى من الرسول [illegible] كتاب الوحي [illegible] ونستخلص بالحكمة [illegible] علوم الكون والقرآن يعلمنا أن كلا منهما

(١) سورة آل عمران ١٩١ (٢) سورة الروم ٨

(٣) سورة النحل ٤٤

(٤) الحكمة: الإصابة في غير النبوة [illegible]

(٥) ابن منظور [illegible]

«الكتاب» و«الحكمة» من عند الله مصدران للمعرفة الإنسانية ومجالان لمنهج واحد في استخلاص واستنباط وبناء وتصور المعارف والعلوم ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾(1) ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾(2).

ومن هنا اعتبر الكتاب «الوحي» مع كتاب الوجود مصدرين للمعرفة لا يقف دورهما عند إضافة معارف غيبية بحتة إلى «معارف عالم الشهادة» التي نستمدها من كتاب الوجود وإنما نضيف هذا الموقف إلى المعارف الإنسانية عن عالم الشهادة «أصنافا» كثيرة وعظيمة مصدرها كتاب «الوحي» أيضا فكتاب الوحي الذي أنزله الله عالم الغيب قد عرض الكثير من السنن والقوانين الحاكمة والهادية للإنسان

النظر في كتاب الوجود

وإذا كانت السنن الخارقة للعادة وهي خارقة «للعادة – العادة» وليست خارقة للقوانين المعقولة فهي تخص الله سبحانه وتعالى بها الذين اصطفاهم من الأنبياء والرسل إقامة للحجة وتمييز الحق عن الباطل فإن السنن الجارية هي القوانين التي وضعها الله سبحانه وتعالى في الوجود الطبيعي والإنساني ودعا هو العلم إلى كشفها وبيان

(1) سورة البقرة 151
(2) سورة البقرة 231

عندئذ وردت في الكتاب الموحى الصحيح [illegible] به وعليه فكل أهل المعرفة مدعوون إلى [illegible] إليه شرعية [illegible] في عالمي الطبيعة والنفس.

وإذا كانت الضرورة قد دفعت إلى فحص هذه السنن التي عرض لها القرآن الكريم في عوالم الطبيعة [illegible] فإن الضرورة إلى [illegible] من هذه السنن [illegible] في الاجتماع الإنساني [illegible] صورة المعرفة القرآنية في عالم الشهادة، وكتاب الوجود.

● فمن القرآن الكريم نتعلم [illegible] بين البدو [illegible] وبين الحاضرة التي تمثل طور الاستقرار للإنسان، الأمر الذي يكشف لنا عن البعد الحضاري للدين والتدين [illegible] مكان القرار والاستقرار [illegible] إمكانات البناء والتراكم في المعارف الحضارية التي تتجسد تطبيقاتها في [illegible] حياة الحضارة على النحو الذي لا يتأتى في البادية بسبب الترحل.

«وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون»(١)

[illegible] الجديد [illegible] في أم القرى، وكانت هجرته [illegible] وقد مثلت الهجرة في عهد النبوة [illegible] إلى الحضر

(١) سورة الأنعام ٩٢

وستستمر الحضارة بالريادة حتى لقد اعتبرت [illegible]
البشرية، رغم [illegible] هذه الحضارة التي انحرفت [illegible] الإسلام.

وكانت هذه [illegible] سنة [illegible] [illegible]
[illegible] الحضاري [illegible] [illegible]
﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾[2]

فهي سنة من سنن الاجتماع الإنساني نستنبطها من القرآن الكريم.

● ومن القرآن الكريم نتعلم سنة الارتباط [illegible] بالنتيجة بين [illegible] والترف والفساد والظلم ومن [illegible] وهلاك للاجتماع الإنساني والحضارات.

﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ۞ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين ۞ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾[3]

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾[4].

(1) [illegible]
(2) سورة القصص 59 (3) سورة القصص 57 - 59
(4) سورة الإسراء 16

﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ۝ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾(١) ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير﴾(٢)

[illegible] والبغي [illegible] وظلال [illegible] متعلمها من القرآن الكريم

• [illegible] الطغيان

﴿كلا إن الإنسان ليطغى ۝ أن رآه استغنى﴾(٣)

فكل استكبار [illegible] والاستعلاء [illegible] في التركيبة الأسرية [illegible] مفضية حتما إلى الطغيان.

• وكما [illegible] القرآن الكريم [illegible] الفساد عن التدبير والرعاية الإلهية في عوالم المخلوقات الأرضية والسماوية [illegible] نتعلم منه كذلك سنة وقانون [illegible] في جميع عوالم وأمم المخلوقات(٤)

(١) سورة هود ١١٦، ١١٧
(٢) سورة الشورى ٢٧
(٣) سورة العلق ٦، ٧
(٤) سورة الأنبياء ٢٢

فهناك تعددية وتنوع.. ظواهر الخلق في عالم الطبيعة.. وهناك تعددية وتمايز في عالم الاجتماع الإنساني..

تعددية وتنوع [illegible] الألسن والألوان [illegible] في إطار وحدة الإنسانية ووحدة الخلق..

وتعدد [illegible] الشرائع [illegible] في [illegible] الإلهي الواحد..

وتعددية وتنوع [illegible] في [illegible] وحدة الأصول في العقيدة والشريعة..

وتعددية وتمايز الأقطار [illegible] في [illegible] التي تقوم على [illegible] الأقطار [illegible]

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾(1)

﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾(2)

﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾(3)

(1) سورة الحجرات: 13 (2) سورة الروم: 22
(3) سورة المائدة: 48

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾(١)

- و[illegible] الحوار [illegible] هو الذي يحافظ على الفرقاء [illegible] من وحدة [illegible] ويحول [illegible] العصر [illegible] التي [illegible] بعض الفرق [illegible] الأطراف [illegible] والساحة» منهم

وإذا كان [illegible] السليمة استبدال حرف [illegible] الأطراف [illegible] التي يلغي التعددية [illegible] في القرآن الكريم [illegible] سنة [illegible] وحكمة [illegible] الذي هو [illegible] اجتماعي - وليس الصراع الاجتماعي هو سنة الله وحكمه وسببه لإعادة التوازن إلى مقامه [illegible] الحر في ظاهرة من ظواهر الاجتماع [illegible] ومخرجه لمواقع الفرقاء في إطار التعددية [illegible] وليس [illegible] طريق للعزلة من الفرقاء.

﴿فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾(٢).

﴿أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس

(١) سورة هود ١١٨، ١١٩.
(٢) سورة البقرة ٢٥١.

لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾[1]

﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون﴾[2]

﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾[3]

تلك إشارات إلى بعض من سنن الاجتماع الإنساني جاء بها كتاب الوحي – القرآن الكريم – فهو بهذا مصدر لمعرفة في عالم الشهادة، يقوم جنبا على جنب مع [illegible] فضلا عن عالم الغيب الذي لا تدركه تجارب الحواس.

* * *

وعلى درب هذا البلاغ الإلهي – القرآن الكريم – سار البلاغ النبوي – سنة الرسول ﷺ.

فكما غدا الوحي مصدرا لمعرفة العديد من السنن [illegible] الاجتماع الإنساني، ومعارف عالم الشهادة، كانت كذلك السنة النبوية التي هي البيان النبوي للوحي الإلهي، [illegible] هي الأخرى تسهم في معرفة العديد من سنن هذا الاجتماع.

● فالقرآن [illegible] العصبية والشوكة والمنعة القومية [illegible] للرسول – أي رسول – [illegible] لنجاح أداء [illegible]

(١) سورة الحج ٣٩، ٤٠
(٢) سورة المؤمنون ٩٦
(٣) سورة فصلت ٣٤

رسالته في مواجهة الخصوم المنكرين هي سنة من سنن الاجتماع الديني تنسحب إلى سنن الاجتماع السياسي نتعلمها من سنة رسول الله ﷺ

ففي تفسير القوى والأسباب الرسالي يقول الله سبحانه وتعالى عن لوط وقومه: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾(1) يقول الرسول ﷺ: "قد كان [لوط] يأوي إلى ركن شديد [الملائكة] [illegible] ولكنه أي لوط عنى عشيرته فما بعث الله عز وجل بعده نبياً إلا بعثه في ثروة قومه". قال أبو عمر: "فما بعث الله عز وجل نبياً بعده إلا في منعة من قومه"(2)

وتوفر الحصانة [illegible] في المرحلة المكية من الدعوة الإسلامية [illegible] هي الأساس للدعوة المحمدية حتى وكثير من أهل تلك العصبة على الشرك [illegible] والعباس بن عبد المطلب، وحلفاء المؤمنين أثناء المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية في شعب بني هاشم [illegible] شاهد على هذه السنة من سنن الله في الدعوات والرسالات.

● وتقترن إقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي فريضة جماعية كفائية تعني عموم المشاركة الجماعية من المسلمين في شئون الاجتماع الإسلامي فتقترن إقامة هذه الفريضة بتقدم الاجتماع وازدهاره، واقتران إهمالها والنكوص

(1) سورة هود: ٨٠
(2) رواه الإمام أحمد

عنها تدهور الاجتماع وهلاك نظمه وسيادة المظالم والفوضى فيه. سنة من سنن الله في هذا الاجتماع تحدث عنها البيان النبوي في حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه(١) على الحق أطرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم تدعون فلا يستجاب لكم»(٢).

فمقاومة الجور والظلم هي التي تحفظ على الاجتماع الإنساني معنى الحق، فحسبنا: «إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك أنت ظالم فقد تودع منهم»(٣).

● وهذه السنة وتلك الصلة من خصوصيتها نعمة حرى أن نتعلمها من حديث رسول الله ﷺ الذي يفسر لنا قانون تعاقب العدل والجور والجبر والقسر في الاجتماع الإنساني، وصلة هذا التعاقب بفقه فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يتحدث الرسول ﷺ عن سنة وقانون تعاقب العدل والجور على الاجتماع الإنساني فيقول: «لا يلبث الجور بعدي إلا قليلا حتى يطلع، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله، حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره، ثم يأتي الله تبارك وتعالى بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله، حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره»(٤).

(١) أي تحملونه على الحق قسرا.
(٢) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه والإمام أحمد.
(٣) رواه الإمام أحمد. (٤) رواه الإمام أحمد.

وكذلك الأمر في هذه الفترة أشار حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حين سأل رسول الله ﷺ: يا رسول الله أيكون بعد هذا الخير الذي أعطينا شر كما كان قبله؟

قال: نعم.

فسأله حذيفة: فبم نعتصم؟

- قال: بالسيف».(1)

● وهذا النص يصف هذه الحقبة بأنها حرب تقتضي من خلفاء رسول الله ﷺ أن يجعلوا القوة قوة الاجتماع الإنساني قرين الفداء والجهاد والاستشهاد حتى وإن قل عدد الأمة، فيكون الضعف مقترن بالوهن والإذلال بالتخلي عن الفداء والجهاد والاستشهاد حتى وإن كثر العدد فرسول الله ﷺ يتحدث عن هذه الفترة في حديث آخر يرسمه ويبين صفاته والذي ينادي فيه بقوله:

«يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها».

فقالوا: يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟

قال: أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن.

- فقالوا: وما الوهن؟

قال: حب الحياة وكراهية الموت».(2)

(1) رواه أبو داود والإمام أحمد

(2) رواه أبو داود والإمام أحمد

● وإلى جانب من هذه الحقيقة تشير الأحاديث النبوية التي تحذر من سنة نزول الذل بالأمة والرضا بالركون عنه بالدنيا فالركون [illegible] لا يحميه جهاد [illegible] إلى ضياع [illegible] الحقيقي من الاجتماع الإنساني «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»[1]

[illegible] من الذل [illegible] والامتثال قائم [illegible] والجهاد [illegible][2] [illegible] هذه الحياة [illegible] الدعة التي لا [illegible]

وإلى هذه السنة تشير حديث النبوي الذي يقول فيه ﷺ «لا يزال أهل الغرب أي أهل السيوف والجلد ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»[3].

وبذلك كان حمل السيوف والرسالة قد حقق استمرارية هذه الأمة في يوم أن كانت الحقيقة الممارسة على حمل الإسلام حتى يوم الناس. فكانت سنة بقاء القيام بالغربة من قدر الأمة على القيام بأمر الله «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك»[4]

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(3، 4) رواه مسلم

وهذه الجماعة – الأمة – هي التي عصمها الله من الاجتماع والإجماع على الضلال "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة"(1).

فحفظ الله [illegible] الذي وعد به [illegible] ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(2) يقتضي دوام الخاصية أي دوام سنته، ولذلك لا ينتهي دون دوام حياة مع عداء الإسلام والمسلمين «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله»(3).

هكذا ومن خلال هذه الإشارات إلى عدد من السنن والقوانين التي جاءت في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف رأينا كيف كان الوحي – [illegible] البلاغة القرآني وبيانه النبوي – مصدرًا للمعرفة في عالم الشهادة والاجتماع الإنساني إلى جانب كونه المصدر لمعارف الإنسان عن عالم الغيب الذي لا تستقل بإدراكه العقول ولا تحصل معرفته بالحس والتجريب.

وأخيرًا فمن صفات لا نتأمل قول الله – سبحانه وتعالى – ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾(4) ولا نرى وندرك [illegible] على وجه اليقين [illegible] كيف جعل

(1) رواه ابن ماجه (2) سورة الحجر 9

(3) رواه البخاري ومسلم والترمذي والإمام أحمد

(4) سورة الإسراء 36

القرآن الكريم سبل العلم والمعرفة متعددة ليست الحسية فقط
السمع ... البصر [illegible] الحواس [illegible] وحدها [illegible] هي سبل المعرفة
والذين يقولون [illegible] عنه خواص [illegible] [[illegible] كان عنه] عن العلم
والمعرفة [مسئولا]

ثم هي سلامة معرفة المنهج القرآني في المعرفة وعلى
هذا النحو واجه به القرآن الكريم [illegible] مستوى [illegible] المنهج
الحسي في المعرفة [illegible] في دوائر المشركين
والدهريين

وعلى هذا النحو قدم «كتاب الوحي» [illegible] في هذا المنهج
مصدرا للمعرفة في عالم الغيب والشهادة جميعا مراتب
معرفته وكشفت سننه عن كثير من السنن الحقيقية في آيات
كتاب الوجود، سواء منها ما كان خاصا بالعلوم الطبيعية
التجريبية أو بظواهر وعلوم الاجتماع الإنساني

فهو تميز وهي صفات تحققها إسلامية المعرفة في هذه
الميادين

(٥)
وبعد الفتوحات الإسلامية

[illegible] الهجرى الأول، حتى كانت [illegible]
[illegible] الدولة الإسلامية [illegible]
[illegible] كل الديانات السماوية [illegible]
[illegible] اللاهوتية [illegible]
والفلسفية [illegible] دولة الإسلام [illegible]
الدولة [illegible]
[illegible] وإذا كان [illegible]
[illegible] إلى إقامة [illegible]
[illegible] تنشئة المثقف والأكثر [illegible]
[illegible] حال من الأحوال.

وفي خضم [illegible] الفكرى الذى شاع وازدهر بين الإسلام
وبين [illegible] والنحل والفلسفات غير الإسلامية، [illegible]

[illegible]
[illegible] عبدالمجيد عابدين، إسماعيل الصحراوي - طبعة
[illegible] [الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى]
المجلد الأول ص ٧٥، ٨٤، [illegible] ترجمة د. محمد عبدالهادى أبو ريدة - طبعة
بيروت سنة ١٩٦٧م

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦

[illegible] الإسلامية علوم [illegible]

[illegible] الفكري والثقافة [illegible]

[illegible] الإسلامية [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

عهد الرسول ﷺ

ولقد واجه المسلمون [illegible] واجهوا خلال هذا [illegible] الفكري مذاهب المعرفة غير الإسلامية [illegible] معرفتنا الإسلامية واجهوا

- [illegible]
- والعرفان الصوفي الذي اعتمد [illegible]
- وواجهوا المعرفة [illegible] التي كانت منتشرة في البلاد الآسيوية التي دخلت في [illegible] الإسلام وانتصر أهلها للإسلام والمسلمين

وأمام هذه المقالات، غير الإسلامية وفي مواجهتها وفي خضم التدافع الفكري معها شهدت حضارتنا فن التأليف في [مقالات الإسلاميين] ورأينا ونحن نراجع عناوين مؤلفات سلفنا في تلك القرون، تلك الثروة الضخمة من المؤلفات التي تخصصت في الرد على مقالات أهل الديانات والمذاهب والنحل والفلسفات.

وعلى سبيل المثال:

● فلدى أحد شيوخ المعتزلة أبو حذيفة واصل بن عطاء [٨٠ - ١٣١هـ = ٦٩٩ - ٧٤٨م] يقولون: إنه لم يبلغ الثلاثين من عمره حتى كان قد فرغ من الرد على كل المخالفين، ومن عناوين الكتب التي ألفها [كتاب الألف مسألة] وجميعها في الرد على مذهب المانوية الفارسية.

ومما تذكره كتب هذا الفن عن [مقالات الإسلاميين] من وقائع التدافع الفكري بين الإسلامية المعرفية التي بلورها الإسلام وبين مذهب الماديات الوضعية غير المستندة إلا على المعرفة الحسية، تلك الحوارات التي دارت بين علماء الإسلام وبين علماء فرقة «السمنية» وهي مذهب من مذاهب الديانات الوضعية الهندية تنكر أهلية الوحي والنبوة والرسالة ويقولون: لا طريق للعلم سوى الحس[1]

(١) التهانوي [كشاف اصطلاحات الفنون] طبعة الهند سنة ١٨٦٢م

[illegible]

التي يصدق عليها هذا الاصطلاح[1]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

– فقال لا

[illegible] هذه المشاعر[2]

– قال لا؛

فلو قال كل المعروف لا يخرج عن [illegible] وليس معلومات منها، فقد دخل في المجهول

فسكت جهم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

على هذا النحو [illegible]

[illegible] على هذه

[illegible] الإسلامية [illegible] فهو

يقول

[illegible]

[illegible]

[illegible] المعروف لا يخرج عن [illegible]

[illegible]

[illegible]

يقينه.»

هنا في هذا الجزء من هذا النص يقدم واصل بن عطاء الصفة الأساسية من صفات المعرفة فهو لا ينكر المعرفة الحسية ولكنه لا يقتصر عليها وإنما يضيف [illegible] المعرفة [illegible] الحواس [illegible] [illegible] والعلوم غير [illegible] والتي لا تحصل لنا عن الحس والحواس.

والدليل لغة هو المرشد والكاشف، واصطلاحا هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، هو الذي يقود الذهن إلى التسليم بحقيقة قضية كدليل موضوع [illegible] وقد يكون مجرد أمارة أو ظاهرة معينة أو شهادة شاهد، أو ضرب من الاستدلال المنطقي[1].

فالدليل ليس فقط [illegible] التي تدرك المحسوس بل قد يكون لازم العلم بالمحسوس ولا [illegible] به بشكل مباشر كما في الإدراك بالحواس، ومثاله أن يلزم من العلم بالمحسوس [illegible] وهو محسوس [illegible] وهو معلوم غير محسوس، لا تدركه الحواس.

لقد أضاف واصل بن عطاء [illegible] إلى الحواس الخمسة فهو لم يقتصر [illegible] على المعرفة الحسية [illegible] المعرفة [illegible] المحسوس [illegible] الإدراك [illegible] الحواس الخمسة.

(1) [illegible] المعجم الفلسفي [illegible]
القاهرة

[illegible]

فيها تقول

[illegible]

به على السمية. فقالوا له

[illegible]

عن المحسوس المدرك بالحواس

[illegible]

ص ٢٢٦ – تحقيق فؤاد سيد – طبعة تونس سنة ١٩٧٢ م

وقد كانت الحضارة الإسلامية قد بدأت الترجمة لعلوم اليونان وعلوم حضارات الشرق، أي علوم الفلسفة والحكمة التي هي مشترك إنساني عام، وذلك منذ مشروع الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية [ت ٩٠هـ ٧٠٨م] كما أنها عرفت في مجرى نقد وتعريب هذه العلوم فلاسفة مسلمين من ذوي المكانة والريادة. وبعد قرن ونصف من الزمان الثالث الهجري أصبح للفلسفة الجديدة معروفة على العقل العربي فيلسوف العرب الكندي يعقوب بن إسحاق [ت ٢٦٠هـ ٨٧٣م] أستاذ أرسطو [٣٨٤ ٣٢٢ ق م] حاضر في الساحة الفكرية الإسلامية، فأصبح المعلم الأول للعرب، وقد ترجم كل الكتب المعروفة لأرسطو ... عنه ابن جلجل ... سليمان بن حسان الأندلسي ... ولم يكن في الإسلام فيلسوف غيره احتذى في تواليفه حذو أرسطاطاليس ... المنطق ... السبق في المعرفة ... في سنوات مراتب البرهان ... في ساحة الفكر الإسلامي ... جديد وواسع ... مقالات الإسلاميين.

وبعد ذلك بقليل ... هذه المقالات غير الإسلامية ... مقالات الإسلاميين، فسبق أحد ... [مقالات الإسلاميين] ... الأشعري أبو الحسن [٢٦٠ ٣٢٤هـ ٨١٤ ٩٧١م] ... وكتب العامري أبو الحسن محمد بن يوسف

... طبعة القاهرة سنة ١٩٤٥م

[٣٨١هـ - ٩٩٢م] [الأعلام للزركلي] [illegible]
[illegible] – الإسلام واليهودية –
[illegible]
[illegible]
غيره من الأديان؟»

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] [الفصل في الملل والأهواء والنحل] [illegible] الأندلسي
[٣٨٤ - ٤٥٦هـ / ٩٩٤ - ١٠٦٤م] [illegible]
[illegible] [٤٧٩ - ٥٤٨هـ
١٠٨٦ - ١١٥٣م] [illegible]
[illegible] [٤٥٠ - ٥٠٥هـ / ١٠٥٨ - ١١١١م] [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] [٦٦١ - ٧٢٨هـ
١٢٦٣ - ١٣٢٨م] [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

جهة [الجمع بين العقل والنقل] و[...] [illegible]

يتفقون مع صحيح المنقول] و[نقض المنطق] الذي [illegible]

بناء منطق إسلامي [illegible]

الإسلام [illegible] المنطق الأرسطي [illegible]

[illegible] وكتاب [الرد على ابن عربي وجماعته] و[اقتضاء

الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم] [illegible]

وفي [illegible]

المعرفة الإسلامي [illegible] المعرفة [illegible]

الإسلامية [illegible]

ابن [illegible] محمد بن إبراهيم [ت [illegible] هـ - ١٣٠٢

١٤٣٦م [ترجيح [illegible] القرآن [illegible]

[illegible] المعرفة [illegible]

إسلامية المعرفة في [illegible]

الحسية غير الإسلامية

وهكذا [illegible] الإسلامية [illegible]

المعرفة الحسية [illegible]

[illegible]

[illegible] المعرفة الحسية [illegible]

[illegible]

مع [illegible] الإسلاميين

لقد ظل [illegible] الإسلامي [illegible] المعرفة مرفوعة [illegible]

التدافع الفكري عبر تلك القرون

(٦)
والبديل للوضعية الغربية الحديثة

عندما حدث ... [illegible] الإسلامية في طور تراجع والجمود لأسباب ليس هنا هو مقام الحديث فيها[1] قد [illegible] الحق و[illegible] و[illegible] وعرف العقل الإسلامي في مسار الجمود والتقليد، تصادف زمن [illegible] التراجع مع الإحياء والنهضة للحضارة الغربية في أوربا.

ولقد قدمت النهضة الغربية الحديثة في مناهج المعرفة ونظرياتها فكرًا على نقيض ومناقض تلك المناهج التي سادت في تلك الحضارة إبان عصورها الوسطى والمظلمة.

كانت الكنيسة الكاثوليكية إبان هيمنتها على الحضارة الغربية سواء في ظل القيصرية البابوية التي هيمنت فيها الكنيسة على السلطة الزمنية أو في ظل البابوية القيصرية عندما أصبح البابوات قياصرة أيضًا كانت هذه الكنيسة قد جعلت اللاهوت هو مصدر المعرفة الوحيد فقدست المعرفة وثبتتها، عندما جعلت لها قدسية الدين وثباته وغربتها الواقع عن أن يكون المصدر الثاني للمعرفة، [illegible] السرعة عن ثمرات معرفة هذا

(1) انظر كتابنا: الطريق إلى اليقظة الإسلامية [illegible]
ومصادرها ص ١٨ - ١٣٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م

"الواقع". ومن هنا كان "التحريم" للمكتشفات الحديثة والحرمان الديني لمن يطلبون المعرفة خارج اللاهوت.

لقد جعلت الكنيسة من المعرفة شأنا سماويا خالصا لا مكان فيه للواقع وأدوات إدراكه وتصوره فجاءت النهضة الغربية الحديثة كرد فعل عنيف ومضاد لهذا الموقف الكنسي فتجعل من "الواقع المحسوس" المصدر الوحيد للمعرفة وتجعل من التجربة الحسية المراقبة التجريبية بأنواعها السبل الوحيدة لتحصيل المعارف والعلوم.

لقد فتحت هذه النهضة الغربية الحديثة صفحة جديدة لمنهج المعرفة الحسية الذي عرفه تاريخ الفكر البشري لدى أصحاب المدرسة الوضعية - والذي أشرت إلى الفلسفة المؤدية له - بل لقد تصاعد رد الفعل هذا بتيارات الوضعية الغربية إلى حد الزعم بأن "الدين وضع بشري". وليس وضعا إلهيا. وذلك عندما أنكرت هذه الوضعية "الوحي" كمصدر من مصادر المعرفة الحقيقية واعتبرته -في أحسن الحالات- وهما وأطلقت الوضعية ميتافيزيقيا وخيالات إن جاز أن تكون تصورات لمرحلة من مراحل طفولة وسذاجة العقل الإنساني فقط؛ جائز أن تكون "معرفة" بالمعنى الدقيق لهذا الاصطلاح!

لقد قال الوضعيون الغربيون: "إن العقل الإنساني قد مر بحالات ثلاث: حالة لاهوتية، وحالة ميتافيزيقية وحالة

(٦)
والبديل للوضعية الغربية الحديثة

على حين وجدت حضارتنا الإسلامية في طور التراجع والجمود [illegible][1] [illegible] العقل الإسلامي في مسار الجمود والتقليد [illegible] التراجع مع الإحياء والنهضة للحضارة الغربية في أوربا

وقد قامت النهضة الغربية الحديثة في [illegible] معركة وحربها [illegible] عميق وحاسم بتلك المناهج التي سادت في تلك الحضارة [illegible] عصورها الوسطى والمظلمة

كانت الكنيسة الكاثوليكية أيام هيمنتها على الحضارة الغربية سواء في ظل القيصرية البابوية التي هيمنت فيها الكنيسة على السلطة الزمنية أو في ظل البابوية القيصرية عندما أصبح «البابوات» «قياصرة» [illegible] كانت هذه الكنيسة قد جعلت «اللاهوت» هو مصدر المعرفة الوحيد فقدست المعرفة ونسبتها [illegible] جمدتها عندما جعلت لها قداسة الدين وثباته وعزلتها عن الواقع عن أن يكون المصدر الثاني للمعرفة فمنعت الشرعية عن ثمرات معرفة هذا

(١) انظر [illegible] النهضة الإسلامية [illegible] المنهج الحضاري [illegible] ومظاهره – ص ١٨ – ١٣٨ – طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠ م

«الواقع»، ومن هنا كان «التحريم» للمكتشفات الجديدة و«الحرمان الديني» لمن يطلبون المعرفة خارج اللاهوت.

لقد جعلت الكنيسة من «المعرفة» شيئًا سماويًا خالصًا، لا مكان فيه للواقع ودوت أدركه وتصوره فجاءت النهضة الغربية الحديثة كرد فعل عنيف ومضاد لهذا الموقف الكنسي فتجعل من «الواقع المحسوس» المصدر الوحيد للمعرفة وتجعل من التجربة الحسية المذهب التجريبية بأنواعها السبيل الوحيد لتحصيل المعارف والعلوم.

لقد فتحت هذه النهضة الغربية الحديثة صفحة جديدة لمنهج المعرفة الحسية الذي عرفه تاريخ الفكر البشري لدى أصحاب الديانات الوضعية - والذي أشرنا إلى «السمنية» نموذجا له. بل لقد تصاعد رد الفعل هذا بتيارات الوضعية الغربية إلى حد الزعم بأن الدين وضع بشري» وليس وضعًا إلهيًا. وذلك عندما أنكرت هذه الوضعية الوحي كمصدر من مصادر المعرفة الحقيقية واعتبرته في أحسن الحالات وهمًا والتفكير أسطوريًا ميتافيزيقيًا وحالات أن حاولت أن تكون تصورات لمرحلة من مراحل طفولة وسذاجة العقل الإنساني فغير جائز أن تكون «معرفة» بالمعنى الدقيق لهذا الاصطلاح!

لقد قال الوضعيون الغربيون: إن العقل الإنساني قد مر بحالات ثلاث: حالة لاهوتية، وحالة ميتافيزيقية وحالة

وضعية» هي تلك التي عدّت «الواقع» فيها المصدر الوحيد للمعرفة الحقة – على حد تعبيرهم، هو ثمرة التجربة وحدها[1]

وكما قال «السمنية» القدماء إن ما عدا «المعروف بالحواس» هو مجهول» قال أبو المذهب الوضعي أوجست كونت [١٧٩٨-١٨٥٧م] إن ما عدا «الواقع» المحسوس هو «وهم» من الأوهام «والفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواقعية المحسوسة وما بينها من علاقات أو قوانين، وإن المثل الأعلى لليقين يتحقق في العلوم التجريبية فالتجربة هي مصدر المعرفة الحقة الوحيد ومن ثم فإنه يجب العدول عن كل بحث في العلل والغايات وفي المبادئ الأولية فكل المعرفة مستمدة من الحس والتجربة المباشرة، وليس من الفطرة أو المصدر العقلي والنظري والاستنباطي[2] أما مصدر الوحي فقد اعتبرته الوضعية إفرازا بشريا تلاءم مع مرحلة الطفولة التي مر بها العقل البشري قبل أن يصل إلى الوضعية التجريبية» عبر الميتافيزيقا»

ولقد شابهت هذه الوضعية الغربية الحديثة، في منهجها هذا في المعرفة، أسلافها القدماء من أبناء الديانات البشرية الوضعية مثل «السُمنية» التي أشرت إليها عندما سارت على درب «حدود العقل بالحس» فقالت بـ «الدين الوضعي» فكتب أوجست كونت كتابه [تعاليم الدين الوضعي] سنة ١٨٥٢م

(١) انظر [القاموس الفلسفي] مادة «المذهب الوضعي» تأليف مراد وهبة ويوسف كرم، ويوسف شلالة

(٢) المرجع السابق وانظر كذلك مادة «تجريبي» في [المعجم الفلسفي] وضع مجمع اللغة العربية – القاهرة

وفى هذا «الدين الوضعي» جعل هذا «المتنبي الوضعي الجديد»:

- العبادة للكائن الأعظم – الذي رمز له بصورة أنثى – في معابد تحتوي على تماثيل نصفية لمن [illegible] حسنة إلى الإنسانية؛
- وجعل لهذا الدين الوضعي «تقويمًا وضعيًا» سميت شهوره بأسماء موسى وأرشميدس وفردريك الثاني وغيرهم من أمثالهم!
- أما أعياد هذا الدين، فهي احتفالات بالعظماء [illegible] جعل أوجست كونت في هؤلاء العظماء الذين تقام لأعيادهم احتفالات بهم أصدقاءه، الذين ساندوه في محاولته الفاشلة لاحتلال منصب الأستاذية بمدرسة الفنون التطبيقية
- أما روحانيو هذا الدين الوضعي، فهم العلماء التجريبيون بدلاً من رجال اللاهوت!»(1)

فهي إذن «الردة العميقة» و«رد الفعل العنيف» على الموقف الكنسي والمذهب اللاهوتي في مصدر المعرفة وسبل تحصيلها. لقد جعلت الكنيسة المعرفة شيئًا سماويًا خالصًا لا علاقة له «بالواقع»، فجاءت الوضعية لتجعلها شيئًا أرضيًا «واقعيًا» خالصًا لا علاقة له بالوحي ولا بنبأ السماء!

(1) انظر [الموسوعة الفلسفية المختصرة] ص ٢٦٧ [illegible] إشراف ومراجعة [illegible] زكي نجيب محمود – طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣م

والأمر الذي يؤكد هذه الحقيقة هو ما ذهب إليه أبو الوضعية الغربية [illegible] المذهب الوضعي الحديث في تقسيمه لمراحل تطور المعارف والعلوم على أساس مراحل ثلاث:

١- المرحلة اللاهوتية: وهي مرحلة الحكم الديني للكنيسة التي تسلطت فيها السلطة من قوة السلطة الدينية وقوة الكهنة الروحانية.

٢- والمرحلة الميتافيزيقية: التي حدث فيها نوع من الفوضى تعرضت فيها كل من السلطة الدينية والسلطة الروحانية للهجوم.

٣- والمرحلة الوضعية: التي تكون فيها رجال العلم [illegible] قوة روحية جديدة، وتسود فيها المعرفة الوضعية ويصبح الدين وضعياً أيضاً، وتصبح كل العلوم حتى الإنسانية منها طبيعية في منهجها، وفي مرحلة تحديد الموضوعية وتحديد مواصفاتها ومقولاتها، حتى لقد أطلق على علم الاجتماع الذي أسسه اسم الفيزيقا الاجتماعية (1) وقال فيما بعد: إننا مادمنا نفكر بشكل وضعي في مجال علم الفلك أو الفيزياء لم يعد بإمكاننا أن نفكر بطريقة مغايرة في مجال السياسة أو الدين، فالمنهج الوضعي الذي نجح في علوم الطبيعة يجب أن يمتد إلى كل مجالات التفكير (2).

(1) المرجع السابق، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(2) محمد [illegible] منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، ص ٢٨، رسالة ماجستير تحت الطبع.

لأنه قد رأى كل أبعاد التفكير وكل ألوان المعارف وكافة العلوم صادرة عن مصدر واحد للمعرفة هو «الواقع المحسوس»، فكل المعارف «تجريبية»، ومن ثم يمكن التعبير عنها «بلغة الفيزيقا».(١)

هكذا بدأت وتبلورت «الوضعية الغربية» بمدارسها المختلفة وانقساماتها التي تمايزت في الفروع والتخصصات: الوضعية والوضعية المنطقية والتجريبية والسلوكية والمادية بمذاهبها وفروعها... إلخ.

فكما حرَّم اللاهوت الكنسي الغربي المعرفة «الواقعية» لجاليليو [١٥٦٤-١٦٤٢م] حرَّمت الوضعية الغربية المعرفة «الإيمانية»، معتبرة إياها إفرازاً بشرياً طفولياً، تجاوزه عقل البشري عندما تجاوزت الإنسانية مرحلة طفولتها.

وهكذا عاد الخلل إلى مصادر المعرفة وإلى أدواتها، عندما قامت على ساق واحدة هي «كتاب الوجود»، معرضة عن ساقها الأخرى «كتاب الوحي»، عاد إليها هذا الخلل القديم من جديد!

لقد غدت الوضعية «دين الفكر الغربي»، الذي استبدل «دين الإيمان السماوي» ثم اتخذت الأشكال المتعددة في الميادين المختلفة.

(١) [الموسوعة الفلسفية المختصرة] ص ٤١٧

• فهي قد جعلت «الوعي» نشاطاً مادياً هو انعكاس للمخ، الذي حسبته «العقل»، أي أنها قد جعلت «العقل» و«التعقل» مادة حتى لا يكون هناك شيء في الإدراك والمعرفة غير الحس والمحسوس والحواس. وقال هكسلي «توماس هـ.» [١٨٢٥ - ١٨٩٥م]: «يبدو أن الوعي متصل بآليات الجسم كنتيجة ثانوية لعمل الجسم لا أكثر، وأن ليس له أي قدرة كانت على تعديل عمل الجسم، مثلما يلازم صفير البخار حركة القاطرة دونما تأثير على سيرها... وقال أيضاً في سياق الادعاء بهذه المادية الميكانيكية: إن الأفكار التي أعبر عنها بالنطق وأفكارك فيما يتعلق بها، إنما هي عبارة عن تغيرات جزيئية»[1].

وقد غدت هذه النظرية الحسية التي أنكرت ما دون المحسوس والمحسوس كانت صاحبتها ذات «نظرية جديدة» في الاعتقاد.

فالدهريون الأول قد قالوا: «ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر»[2] ورأوا في الموت نهاية كل شيء، يستوي في ذلك «الجسم» و«العقل» و«النفس» و«الروح» و«الفكر» و«الإرادة» فالناس كما قالوا هم مثل الزرع مرآه مختلف نوعه ثم يحصد حصاداً لا عودة له ولا بعث ولا نشور، لأنه كما قال هؤلاء الماديون «إذا كان التفكير والإرادة ينبعثان من أنشطة الدماغ فسيختفيان بفناء الدماغ، وإذا كان

(1) روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو [العلم في منظوره الجديد] ص ٣٥، ٣٦. ترجمة كمال خلايلي. طبعة الكويت - عالم المعرفة سنة ١٩٨٩م.

(2) سورة الجاثية: ٢٤

كل جزء من أجزاء الإنسان مادة فلا تنجو من أن يكون كل جزء منه عرضة للفناء»(1)

وانطلاقا من هذه الفلسفة المادية لعلم الغرب انطلق داروين [1809-1882م] فنشر في الداروينية نشأة الأحياء تفسيرا [illegible] هذه النتيجة [illegible] فهي الصدفة [illegible] ذاتية بواسطة التفاعلات والتغيرات الجزئية التي عرفت المواد الأولى التي تحققت بسببها كما تحقق النوع الإنساني من مادة دماء والتغيرات الجزئية فما قاله هكسلي في عالم الأفكار قاله داروين في عالم الأحياء.

وتطبيقا لهذه النزعة المادية - في عالمي الأفكار والأحياء - في الاجتماع والأموال والثروات والاقتصاد قال ماركس [1817-1883م] إن تطور المجتمعات والاجتماع البشري إنما هو بتأثير العامل الأول الواقع المادي والاقتصادي قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج فالمعرفة صورة تعكس الواقع في الفكر، وهي قائمة على الممارسة تبدأ بالإدراكات الحسية للأشياء(2) ولا شيء غير الواقع المنعكس في فكر الإنسان بواسطة [illegible] الدماغ أما الله والدين وكل ما جاءت به كتب الوحي، فهو خيال وخرافة اخترعها المحرومون تسلية لأنفسهم، أو الخبثاء الأغنياء تخديرا للفقراء.

(1) [العلم من منظور الحضارة] ص 20

(2) [الموسوعة الفلسفية] [illegible] ترجمة سمير كرم - طبعة بيروت سنة 1974 م

وبقد تصاعدت الماركسية بهذه «الدهرية» المنكرة للمصدر الوحي والغيب، لتدنى من مستوى «تحرير» العقل إلى حد جعلتها مهمة تاريخية تعبر الثورة إلى تحقيق مجتمعاتها على الأرض، ومجتمعاتها باقتلاع الدين وتحقيق اقتلاعه من هذه المجتمعات، جاعلة من هذه المهمة جزءا لا يتجزأ من «تحريرها» الإنسان من «القيود»!

لقد تنوعت مدارس الفكر الغربي ومذاهبه وتعددت في إطار نهضته الحديثة العلوم والمعارف والتخصصات، لكن الوضعية والنزعة المادية والمذهب الحسي في المعرفة كانت القاسم المشترك الأعظم في معظم هذه المدارس والمذاهب والمعارف والتخصصات، حتى لقد طبع فكر النهضة الغربية الحديثة بهذا الطابع المادي الحسي إلى حد كبير.

ولقد تزامن ذلك مع تراجع الحضارة الإسلامية، ومع الموجة الاستعمارية الغربية الحديثة التي حملت إلى بلاد الإسلام بعد خضوعها لهيمنة هذه الموجة الاستعمارية، مع النهب الاقتصادي والغزو الأمني والسياسي، مزاعمها هذه في المعرفة الحسية والنزعة المادية، فتجددت روافد الموجة الفكرية الأولى من جديد، مع تغير في مواقع الفرقاء، فبعد الفتوحات الإسلامية نهض الإسلاميون بمواجهة مذاهب المعرفة الحسية التي تقف عند المحسوس والمحسوس، نهضوا بمواجهة مذهب الإسلام في المعرفة في البلاد التي فتحها المسلمون، فقد قدموا البديل الإسلامي في المعرفة كجزء من

المشروع الحضارى الإسلامى الذى انتصر وعد ... لاكثر من عشرة قرون - منارة العالمين.

واليوم وبعد الغزو الغربي لوطن العروبة وعالم الاسلام منذ نحو قرنين من الزمان اقتحم الفكر الغربى على العقل المسلم دياره ومعاقله، محاولا ان يفرض عليه ... يريد فرضه ... نموذجه الحضارى الغربى المؤسس على النزعة المادية والحسية فى المعرفة الامر الذى يجعل من شعار اسلامية المعرفة. التعبير عن مهمة ثقافية ورسالة فكرية هى المدخل والسبيل والأداة لبلورة الصور المعاصر للمشروع الحضارى الاسلامي الذي لابد لنا من احيائه وتجديده لنواجه به المشروع الغربى

فالقضية الان أكبر من مهمة معاصرة واخطر من ... فكرية وأعظم من ... هى ... جزء من المشروع الحضارى الاسلامى الذى يمثل ... الاسلامية الحديثة دليل العمل الذى يشير لهذه النقطة ... والتى لا يكتب أهل هذه النقطة وطوق النجاة ... الفكرية والاستلاب الحضارى الذى أمام له ... الحضارى فى عقر دارنا المؤسسات التى ... فى المعرفة و... فى صياغة الواقع وتشكيل الحياة

تلك هى المهمة التى يطرحها شعار إسلامية المعرفة على العقل المسلم، فى المنعطف التاريخى والظرف الحضارى الذى نعيش فيه

(٧)
وقسمة فى مشروعنا الحضارى البديل

ولعن مما يزيد العقل الإسلامى ثقة فى خطر هذه القضية - قضية إسلامية المعرفة - واطمئنانا إلى توافر إمكانات النجاح فيها - غير القياس على انتصار أسلافنا العظام على الوضعية القديمة والدهرية القديمة - أن كثيرًا من دوائر الفكر الغربى ذاته قد حدث تفيق من خدر الاطمئنان الذى خدعتها به موجة المعرفة الحسية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.

لقد شهد العلم الغربى، منذ العقود الأولى للقرن العشرين، العديد من الاكتشافات العلمية، التى يعدها المؤرخون له بمثابة الثورات التى كشفت عورات افتقار المعرفة الحسيه والمادية إلى التوازن ومن ثم افتقادها لمقومات «الصدق المعرفى»

● ففى الفيزياء مثلت أبحاث ونظريات ومكتشفات أينشتاين Einstein [١٨٧٩ - ١٩٥٥م]، وبور Bohr [١٨٨٥ - ١٩٦٢م]، وهايزنبرج Heisenberg [١٩٠١-١٩٧٦م] ثورة كبرى.

● وفى مبحث الاعصاب، مثلت أبحاث ومكتشفات شرنجتون Sherrington [١٨٥٧ - ١٩٥٢م]، وإكلس Eccles من مواليد ١٩٠٣م، وسبرى Sperry [١٨٦٠ - ١٩٣٠م]، وبنفيلد Penfield ثورة جديده

- وفي علم النفس، مثلت بحوث ومكتشفات فرانكل Frankl وماسلو Maslow، وماي May ثورة أخرى.

- وفي علم الكوسمولوجيا كانت نظرية الانفجار العظيم والنسبية الأينشتينية. فقد عقدت جسورًا متينة مع ثورات مماثلة في الفيزياء والأعصاب، وعلم النفس الأسس الجديدة للمعرفة غير الحسية، وبخاصة أنها لا تقف على ساق الحس وحده. وبعد أن أهل الاختصاص من علماء الغرب أنهم يجهلون مغزى هذه الثورات العلمية ويرفضون... هل هذه المكتشفات لم تمس المنظور الحديث الذي كان سائدًا في العلم الغربي للإنسان ولمكانته في العالم فحسب، بل هي تقدم تفسيرًا جديدًا»

لقد كان المنظور السائد في دوائر العلم الغربي قبل هذه الموجة العلمية والحسية في المعرفة هو أن لا وجود إلا للمادة وأن الأشياء جميعها قابلة للتفسير تبعًا للمادة فحسب. وهكذا يتحتم أن تكون حرية الاختيار وهمًا من الأوهام، فمادامت المادة غير قادرة على التصرف الحر. ولما كانت المادة عاجزة عن أن تخطط أو تهدف إلى أي شيء فلا سبيل إلى العثور على حكمة وراء الأشياء الطبيعية [عالم الغيب]، بل إن العقل ذاته يعتبر نتاجًا ثانويًا لنشاط الدماغ.

ولقد وصف برتراند راسل Bertrand Russell [١٨٧٢-١٩٧٠م] هذا المنظور الذي ساد دوائر المعرفة والعلم الغربي فقال: «إن تكون الإنسان نتاج أسباب لا تعلم الغاية

الملازمة لما تحققه من غايات، ولأن تكون منشؤه ونموه ومخاوفه وصبواته ومعتقداته مجرد حصيلة لتصادف ذرات عرضي، ولأن تعجز أي حماسة مشبوبة أو بطولة، أو أي حدة في التفكير والشعور، عن الإبقاء على حياة فرد واحد فيما وراء القبر، ولأن يكون الدمار هو المصير المحتوم لكل عناء الأجيال، ولكل التفاني، ولكل عبقرية الإنسان، لقد حققه تألق الشمس في رائعة النهار، كل هذه الأمور إن لم تكن حقائق غير قابلة للجدل فإنها مع ذلك تقترب من اليقين إلى حد يستحيل معه على أي فلسفة ترفضه أن يكتب لها البقاء. وعلى ذلك لا يمكن بناء موطن الروح بأمان إلا في إطار هذه الحقائق وعلى أساس راسخ من القنوط المقيم.

نعم، لقد سادت نظرية "القنوط المقيم"، مما وراء الصدفة، في مقدمة النهضة الحديثة للمعرفة الغربية ... الحسية ... والعلم الغربي ... المادي ... حتى عمم هذه النظرة على جميع العلوم المادية منها والإنسانية.

لكن المؤرخين الجدد للعلم الغربي الذين رصدوا الثورات المعاصرة في هذا العلم، يقولون إن ذلك التصور "لدهري القانط" قد طويت صفحته بهذه الثورات العلمية المعاصرة ومعطياتها في نظرية المعرفة. وبعبارة عالم الفيزياء هنري مرجينو Henry Margenau: "إن العقيدة الأساسية للمذهب المادي هي أن الحقيقة كلها تكمن في المادة. وهذا رأي كان مقبولا بعض القبول في أواخر القرن الماضي [التاسع عشر] غير أن أمورا كثيرة حدثت في هذه الأثناء تكذب هذا الرأي".

وبعبارة عالم الفيزياء «فيرنر هايزنبرج»: «إن الفيزياء الذرية المعاصرة قد نأت بالعلم عما كان يتسم به من اتجاه مادي في القرن التاسع عشر».

إننا نقف أمام جديد وبإزاء تحولات في مدارس المعرفة الغربية تحولات عن النزعة المادية البحتة والحسية الصرفة.

لقد قال الإمام الغزالي قديمًا: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله. ولقد بدأ جراح الأعصاب «وايلدر بنفيلد» تجاربه على الدماغ بهدف إثبات النظرية التي كانت سائدة في الفلسفة المادية - الدماغ يفسر العقل - لكنه وصل عبر دراسة امتدت لما يربو على نصف قرن إلى إثبات عكس هذه النظرية المادية. وصل إلى أن العقل غير الدماغ. فالدماغ هو مقر الإحساس والذاكرة والعواطف والقدرة على الحركة لكنه ليس مقر العقل أو الإرادة. والعقل لا الدماغ هو الذي يراقب ويوجه في آن معًا، وهو الذي يتخذ القرارات وينفذها مستعينًا بمختلف آليات الدماغ».

لقد وصل «بنفيلد» إلى هذه الحقائق ورتب عليها معطياتها في نظرية المعرفة فكتب في كتابه [لغز العقل]:

«إنه أقرب إلى المنطق أن نقول إن العقل ربما كان جوهرًا متميزًا ومختلفًا عن الجسم».

وأمام هذا الذي قاله نتذكر تعريف الإسلاميين للعقل بكلمات الشريف الجرجاني [٧٤٠-٨١٦هـ = ١٣٤٠-١٤١٣م]

« هو جوهر مجرد عن المادة فى ذاته مقارن لها فى فعله جوهر روحانى حقيقة الله تعالى متعلقا ببدن الانسان نور فى القلب يعرف الحق والباطل »

ويذكر ايضا تعريفه لـ القلب الذي يعقل ويفقه كما جاء فى القرآن الكريم - والذى يقول عنه انه لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسمانى الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الايسر من الصدر تعلق وتلك اللطيفة هى حقيقة الانسان ويسميها الحكيم النفس الناطقة وهى المدرك والعالم من الانسان والمخاطب والمطالب والمعاتب

انه التعريف الاسلامى الذى لم ير الانسان مجرد مادة تفرز الفكر بالتفاعلات لجزيئات هذه المادة

ومن هذا المعنى يقترب العلم الغربى المعاصر بتجارب علمائه على الأعصاب!

بل لقد خطا ولدر بنفيلد خطوة أخرى هامة عندما قال متعجبا وهو الذي بدأ ابحاثه بهدف دعم النظرة المادية والحسية للمعرفة - قال فيا له من مؤشر الى ان نكتشف أن العالم يستطيع بدوره ان يؤمن عن حق بوجود الروح وبما ان العقل والإرادة غير ماديين فلا شك ان هاتين الملكتين على حد تعبير اكلس » - « لا تخضعان بالموت ستحلل الذى يطرا على الجسم والدماغ كليهما »[1]

---

(١) العلم فى منظوره الجديد ص ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣

الله أكـــبر

إنها بداية الإيمان بالروح وبداية تحريرها وانتصار على تحلل الجسم وفناء المادة حين نهاية المطاف.

وهنا تتلاشى هذه الأسطورة الجديدة ... حين تنتصر «التجريبية الإسلامية» الموصوفة بعد انتهاء مدة من المعطيات، لكن يبقى «البديل الإسلامي» متميزًا فهو لا ينطلق في المعرفة فقط من: الواقع والحس والتجربة، وإنما ينطلق أيضًا من «كتاب الوحي» وهو ما يفتقده ويفتقر إليه هؤلاء التجريبيون الجدد الغربيون»!

لقد اكتشف [illegible] من مشيرًا أن العالم المسلم الذي ينطلق من «كتاب الوحي» و«كتاب الكون» فإنه يكتشف بالتجربة في «كتاب الكون» الأسرار التي أودعها صاحب الوحي و«خالق الوجود». فهو ينطلق من الإيمان الديني ينطلق من «الشرعي» لاكتشاف «المدني الكوني» ثم يوظف ثمرات العلم «المدني الكوني» في خدمة الإيمان «الديني الشرعي». ويكون لذلك أكثر خلق الله خشية له ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(١)

فالتطور الذي يحدث في العلم الغربي المعاصر ومعطياته في نظرية المعرفة هو مما يدعم ثقتنا في «البديل الإسلامي» ويزيد من إلحاح هذه القضية على العقل المسلم [illegible] علومنا

(١) سورة فاطر ٢٨

من آثار الموجة المدنية للعلم العربي الحديث، وبصياغة هذه العلوم وفق منهاج إسلامية المعرفة، وللإسهام [illegible] في تركيبة وترشيد هذه الموجة الجديدة وتوليد علم [illegible]

• • •

إن الإسلام [illegible] صاغ الأمة عندما صنع حضارتها [illegible] [illegible] العلاقة بين الشرعي والمدني في [illegible] والعلوم

إن هذا الإسلام الذي صاغ الأمة، ومنهجه في المعرفة هذه الصياغة الإسلامية المتميزة، هو الذي صاغ [illegible] [illegible] علماء هذه الأمة صياغة متميزة [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حيث الفكرية والعلمية من ذلك [illegible] بين [illegible] و[illegible] من [illegible] و[illegible] بين «الشرعي» و«المدني»

[illegible] ووضع [illegible] الإنسان [illegible] ولعمر [illegible] الكون مستعينا في ذلك كله بكتابي الوحي والوجود [illegible] هذا

● كان أبو الوليد بن رشد [٥٢٠ - ٥٩٥هـ = ١١٢٦ - ١١٩٨م] يفرغ [illegible] فتواه في الفقه كما [illegible] إلى فتواه في [illegible] فهو طبيب [illegible] والعقل الأصولي [illegible] الحكيم [illegible] صاحب [كتاب الكليات] في الطب و[بداية المجتهد ونهاية

المقتصد] في الفقه، و[مناهج الأدلة في عقائد الملة] و[فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] في علم الكلام والتوحيد.

● وكان ابن سيناء أبو علي الحسين بن عبد الله [٣٧٠-٤٢٨هـ ٩٨٠-١٠٣٧م] أستاذ الرئيس في الشرق وتقدمه في الإلهيات والطبيعيات وعلى التصوف والطب والحيوان. ومن أسباب بعض آثاره في الطب [القانون] وفي الحكمة والإلهيات [الشفاء] و[النجاة] و[أسرار الحكمة المشرقية] وفي متحركات الطبيعة [النبات والحيوان] و[الهيئة] و[أسباب الرعد والبرق]... إلخ

● وكان البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر [٤٢٩هـ-١٠٣٧م] - وهو الذي اشتهر ببراعته المتميزة في أصول الدين - المبرز في الحساب وفي الهندسة، حتى لقد قالوا: إنه كان يدرس في سبعة عشر فنًا! ومن آثاره [أصول الدين] و[تفسير القرآن] و[معيار النظر] و[التكملة في الحساب] و[رسالة في الهندسة]... إلخ.

● وكان الخيام، أبو الفتح عمر بن إبراهيم [٥١٥هـ-١١٢١م] اللغوي الشاعر والفيلسوف المؤرخ والرياضي الفقيه والمهندس الفلكي. ولقد بقيت لنا من آثاره [مقالة في الجبر والمقابلة] و[شرح ما أشكل من مصادرات إقليدس] و[الاحتيال لمعرفة مقداري الذهب والفضة في جسم مركب منهما] و[الرباعيات] و[الخلق والتكليف] وغيرها من الآثار الشاهد

تنوعه وتكاملها على هذا المذهب الإسلامي في تكامل مصادر المعرفة وتكامل أدواتها، ومعرفة علمائه.

● وكان الفخر الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر [٥٤٤-٦٠٦هـ ١١٥٠-١٢١٠م] الإمام في علوم الدنيا والدين جميعا، حتى لقد قال مؤرخوه: إنه كان أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل.. ومن بين آثاره الكثيرة والجامعة لأقصى المعرفة وتخصصاتها نجد: (مفاتيح الغيب) في تفسير القرآن الكريم.. و(معالم أصول الدين).. و(لوامع البينات في شرح أسماء الله الحسنى والصفات).. و(نحو البحث في التوحيد وأصول الدين).. و(محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين).. و(نهاية العقول).. و(البيان والبرهان).. في الفلسفة - و(المباحث المشرقية).. في التصوف.. و(السر المكتوم).. في الفلك.. و(النبوات).. في النبوة والرسالة.. و(النفس).. في علم النفس.. كما أبدع في الهندسة كتاب (الهندسة) وكتاب (مصادرات إقليدس).. إلخ.

هكذا تجسد توازن وتكامل مصادر المعرفة في المنهج الإسلامي وتوازن تكامل أدوات وسبل تحصيلها في هذا المنهج.. هكذا تجسد في العلم الإسلامي وفي العقل الإسلامي وفي تراث علماء الإسلام، فكان الاشتغال بجميع العلوم - الشرعي منها والمدني.. و(النظري) منها و(التجريبي) - عبادة وقربة إلى الله، وامتثالا لأوامره وتكليفاته.. فبالعلوم الشرعية تعرف المقاصد الإلهية في العمران البشري، وبالعلوم المدنية يقيم

البشر العمران لدى استخلفهم خالقهم لإقامته في هذا الوجود وفيهما معًا وبهما جميعًا يكتشفون بأن الله سبحانه وتعالى في الأنفس والآفاق فقط العلم يبدأ المنهج في المعرفة لدى المفتوح دائمًا وأبدًا لاكتشاف الحقيقة في عالم الشهادة وبعد قواعد الإبصار بالله وعالم الغيب وصدق الله العظيم إذ يقول: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»(١).

وإذا كانت هذه هي سمات ومميزات [illegible] في المنهج الإسلامية المعرفية ومن المعارف والعلوم [illegible] المنهج وفي العلاقة [illegible] في إطار [illegible] هذه المعارف والعلوم [illegible] الصورة [illegible] وشبهة على [illegible] التي [illegible]

ومن [illegible] لا [illegible] أكثر [illegible] هو [illegible] بين هذا [illegible] على الجبهة الإسلامية وبين واقع النهضة [illegible] العربية [illegible] في [illegible]

● فقد كان التقدم العلمي في علوم [illegible] الوحي والدين [illegible] الإنسان [illegible] المعبرة عن هذا [illegible] الله عما صاحوا به علوًا كبيرًا» –

(١) سورة فصلت ٥٣

● وكان للكثير من تجارب هذا المنهج المختبري [illegible] أثرها على ساق المعرفة الحسية وحدها [illegible] وخاصة في العلوم الاجتماعية والانسانية [illegible] ثمرات معينة ففي الوقت الذي [illegible] وبقيه وموضوعيه [illegible] والتجريبية [illegible] الصور [illegible] والأمراض [illegible] أمراض [illegible] الأعوج [illegible] إلى أمراض [illegible] والى [illegible] [illegible] حتى وان [illegible] بعض الابصار

وثمر [illegible] والفلسفة [illegible] خاص عن [illegible] ملابسات [illegible] فلقد [illegible] العلمية [illegible] والموضوعية [illegible] يفرضونه على البشرية جمعاء؟

وبسبب من [illegible] والحسي [illegible] المعرفة في هذه [illegible] [illegible] على الشعوب المستضعفة وتدميره [illegible] الاقتصادية [illegible] في مجتمعاتها [illegible] من ذلك [illegible] حضارية [illegible] الرجل الأبيض [illegible] من العالمين

وبسبب من هذه [illegible] الحسي والمادي [illegible] التطبيقات [illegible] في العلم [illegible] كانت تطبيقاته في دمار البيئة وتلويثها والاخلال [illegible] وكل [illegible] فهو للأمم الأخرى [illegible] حضارية [illegible] على

الطبيعة «رسالة حضارية» أحرى أن تجعل من عنوان «قهر الطبيعة» و«السيطرة عليها» و«تسخيرها للإنسان» عناوين عليها؟

ولأن هذا المنهج الحسي والمادي لا يعترف بغير الواقع المحسوس ولا يؤمن بغير عالم الشهادة فلقد تنكر للفطرة التي لا ترى للحياة الإنسانية مقاصد غير الوفرة المادية التي تحقق للإنسان ذاته وشهواته التي لا تتناهى عند حدود وتوسعة القسوة والصراع الذي لا يعرف الغيب.

لقد أثمر هذا المنهج في المعرفة الغربية علوما ومعارف ومدارس تحقق للإنسان قوة المفترس الذي يأكل في سبعة أمعاء، بينما عجزت عن تحقيق الإشباع الروحي لهذا الإنسان فاختلّ توازنه عندما لبت له حاجات الجسد دون حاجات الروح حتى لقد أدى هذا الخلل إلى تهديد الجسد ذاته بالدمار لغياب دور الروح في ترشيد الإشباع المادي لجسد هذا الإنسان.

* * *

إن ما أشرت إليه من تحولات حديثة في فلسفة العلم الغربي المعاصر تحولات عن فلسفة المعرفة وما بيننا هي حوافز لمزيد من الثقة بمنهجنا الإسلامي المتميز في المعرفة لابد أن تدفعنا إلى مزيد من الجهد لبلورة منهج منهج أسلمة المعرفة وصياغة علومنا الإنسانية وفلسفة علوم الطبيعة وفقًا له.

وإن ما نشهده من سقوط وتراجع الكثير من مذاهب الغرب ونظرياته التي بهرت الأبصار لعقود عديدة من الزمن، سقوطها وتراجعها كجثث بعد أن كشفت الأمراض التي تكتسح الصحة والعافية، لهو خير دليل من الجهد الذي تحت [illegible] في هذا الميدان، ولا غرو أن الذي لا يكشف في سقوط وتراجع الماركسية والداروينية والوجودية والفرويدية، والكثير من المذاهب ومناهج البحث والنقد في الفنون والآداب من [illegible] الذي لا يكشف في [illegible] خللا حقيقيا وأكيدا في المنهج المادي والحسي للمعرفة التي [illegible] هذه المذاهب والنظريات؟ ونرى في هذا تأكيدا وتصحيحا على ضرورة بلورة المنهج البديل؟

بعد طمسنا بجمودنا وتقليدنا، تحقق ضرورة المنهج الإسلامي المتميز في المعرفة عندما وقفنا عند تراث عصر تراجعنا الحضاري، وتم نقل المنهج الغربي في المعرفة الذي واجه به علماء عصر النهضة مذاهب المعرفة الكنسية عند الأمم والملل الأخرى لم نوجه ما هو أهل له من الاهتمام

ووقفت هذا المنهج الإسلامي مرة أخرى تفتقدنا «النموذج الغربي» في نظرية المعرفة بحسب الوضعية والمادية والتجريبية المعتمدة الغربية، واحتلت شكل الأرقى في علوم الإنسانية والاجتماعية وفي فلسفة علوم الطبيعة

وبعد كل هذا التعليل لتخلف الموروث، ولو قد عبر عنه وغير الملائم السبب الأول في غياب الشديد في الإبداع

وما كان لأمة أن تبدع في علوم حضارتها المتميزة إلا إذا هي بلورت منهاجها المتميز في المعرفة. وإذا كانت النهضة الإسلامية المعاصرة مدعوة إلى بلورة سبيلها الحضاري كدليل لنهضتها المنشودة، وذلك حتى لا تسقط في هاوية «التبعية» و«الاستلاب الحضاري» أو تضل الطريق فإن المدخل إلى هذا الانجاز هو «إسلامية المعرفة» حتى يأتي هذا «البديل إسلاميا حقا» فقضيتنا إذن قضية «إسلامية المعرفة» هي جزء من مشروع حضاري بديل، وليست مجرد قضية ثقافية خاصة بدوائر المثقفين والمفكرين.

إنها قضية أمة تريد أن تنهض في مواجهة تحديات شرسة، وقضية دين أنعم الله علينا بأن هدانا إلى التدين به.

وقضية حضارة صاغ أسلافنا العظام علومها ومعارفها بهذا المنهاج.

ولن يصلح البديل الحضاري الإسلامي المعاصر الذي نريد به مواجهة التحدي المعرفي الحديث إلا بما صلح به البديل الحضاري الإسلامي الأول الذي واجه به أسلافنا التحدي المعرفي القديم.

إنها قضية قديمة جديدة، تمثل واحدة من أبرز القسمات التي تميز وتتميز بها الإسلام الدين والحضارة على غيره من النحل والفلسفات والحضارات.

إن «إسلامية المعرفة» تعني «حضارة مؤمنة» تقوم على «عقلانية مؤمنة» يصطبغ علمها وفكرها بصبغة الله»

● وإذا كانت الوضعية الغربية التي عزلت «المعرفة» عن «الدين والوحي وعالم السماء» من حقل العلم وصنعة البشرية، إن كانت هذه الوضعية قد اتخذت [illegible] ومثلها نموذج فلسفتها الوضعية كونت ذلك الذي قطع المحاضرات التي بدأ إلقاءها سنة ١٨٢٦م [الفلسفة الوضعية] وهي التي كونت مؤلفه الرئيسي [illegible] فقطعها بسبب إصابته بمرض عقلي أعقبته محاولته الانتحار غرقاً في نهر السين سنة ١٨٢٧ لفرط اليأس والقنوط

ولدى تعرفه على كارولين ماسان [illegible] وهي تحترف [illegible] في شبابها حرفة البغاء، ثم تزوجها[1] [illegible] حب امرأة متزوجة من رجل هرب من مطاردة البوليس هي كلوتيلد دي فو [illegible] فكان حبه لها - كما يقول مؤرخو فكره - السبب في انحراف كتاباته طابعاً جديداً فقد [illegible] لنقل[1] ودعا إلى «معابد الدين الوضعي»[1]

إذا كان هذا هو حال علم وعلماء الحضارة الحسية والفصام النكد بين الأرض والسماء بين الكون والوحي بين «الدنيا» والآخرة بين «المدني والشرعي»

● فإن الإسلامية المعرفية شأن آخر، ونموذج مغاير [illegible]

من العلماء مختلفين

(١) [الموسوعة الفلسفية المختصرة] ص ٢٦٦، ٢٦٧.

لقد كان عالمنا أبو عثمان عمرو بن عبيد [٨٠-١٤٤هـ/ ٦٩٩-٧٦١م] [illegible] الشورى [illegible] [illegible] الإسلامية [illegible] [illegible] والزهد [illegible] [illegible] إذا رأوه قائلين «هذا خير الناس».

[illegible]

والفيلسوف العقلاني [illegible] [illegible] [illegible] الدين بالعقل [illegible]

وهو [illegible] على قدميه [illegible] من البصرة إلى مكة [illegible] مرة على [illegible] على قدميه وخلفه [illegible] عليه الفقراء والضعفاء»[1].

هذه هي [illegible] بضاعة [illegible] [illegible] فكري [illegible] [illegible] الذي [illegible] به [illegible] بالانحراف [illegible] الذي [illegible] «الوصفية» [illegible]

[1] انظر [illegible] ١٩٨٨م.

المصـــادر

- القرآن الكريم.
- كتب السنة:

[صحيح البخاري] طبعة دار الشعب القاهرة

[صحيح مسلم] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م

[سنن الترمذي] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٧م

- [سنن النسائي] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤م

- [سنن أبي داود] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢م

[سنن ابن ماجه] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٢م

- [سنن الدارمي] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م

[مسند الإمام أحمد] طبعة القاهرة سنة ١٣١٣هـ

- الكتب المطبوعة:

آدم متز [الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري] ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م

ابن جلجل [طبقات الأطباء والحكماء] تحقيق فؤاد سيد طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م

ابن القيم [إعلام الموقعين] طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م و[الطرق الحكمية في السياسة الشرعية] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م

ابن منظور [لسان العرب] طبعة دار المعارف القاهرة

البلخي والقاضي عبد الجبار والحاكم الجشمي [فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة] تحقيق فؤاد سيد - طبعة تونس سنة ١٩٧٤م

التهانوي [كشاف اصطلاحات الفنون] طبعة الهند سنة ١٨٩٢م

الجرجاني (الشريف) [التعريفات] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م

روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو [العلم في منظوره الجديد] ترجمة كمال خلايلي طبعة الكويت سنة ١٩٨٩م

حسين مؤنس (دكتور) [أطلس تاريخ الإسلام] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٧م

روزنتال م. يودين ب. [الموسوعة الفلسفية] ترجمة سمير كرم – طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م

زكي نجيب محمود (دكتور) (إشراف) [الموسوعة الفلسفية المختصرة] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣م

الطهطاوي (رفاعة رافع) [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة – طبعة بيروت سنة ١٩٧٧م

عبد الوهاب الكيالي (دكتور) (إشراف) [الموسوعة السياسية] طبعة بيروت سنة ١٩٨٣م

مجمع اللغة العربية القاهرة [معجم ألفاظ القرآن الكريم] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م [المعجم الفلسفي] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩م

محمد العربي [منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية] رسالة ماجستير – تحت الطبع

محمد عمارة (دكتور) [الطريق إلى اليقظة الإسلامية] طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م و[مسلمون ثوار] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨م

محمد فؤاد عبد الباقي [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم] طبعة دار الشعب – القاهرة

مراد وهبة (دكتور) يوسف كرم، يوسف شلالة [المعجم الفلسفي] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م

هنري و جرارد [[illegible] التاريخ الإسلامي] ترجمة إبراهيم زكي خورشيد – طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م

ونسنك [illegible] وآخرين [المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف] طبعة ليدن ١٩٣٦–١٩٦٩م

اليونسكو [معجم العلوم الاجتماعية] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥م

الفهـرس

سلسلة «فى التنوير الإسلامى»

العنوان	المؤلف
١ـ الصحوة الإسلامية فى عيون غربية	د. محمد عمارة
٢ـ الغرب والإسلام.	د. محمد عمارة
٣ـ أبو حيان التوحيدى	د. محمد عمارة
٤ـ دراسة قرآنية فى فقه التجدد الحضارى.	د. سيد دسوقى
٥ـ ابن رشد بين الغرب والإسلام.	د. محمد عمارة
٦ـ الانتماء الثقافى.	د. محمد عمارة
٧ـ تنصير العالم	د. زينب عبد العزيز
٨ـ التعددية.. الرؤية الإسلامية والتحديات	د. محمد عمارة
٩ـ صراع القيم بين الغرب والإسلام	د. محمد عمارة
١٠ـ د. يوسف القرضاوى: المدرسة الفكرية والمشروع الفكرى	د. محمد عمارة
١١ـ تأملات فى التفسير الحضارى للقرآن الكريم	د. سيد دسوقى
١٢ـ عندما دخلت مصر فى دين الله	د. محمد عمارة
١٣ـ الحركات الإسلامية رؤية نقدية	د. محمد عمارة
١٤ـ المنهاج العقلى	د. محمد عمارة
١٥ـ النموذج الثقافى	د. محمد عمارة
١٦ـ منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق.	د. صلاح الصاوى
١٧ـ تجديد الدنيا بتجديد الدين	د. محمد عمارة
١٨ـ الثوابت والمتغيرات فى اليقظة الإسلامية الحديثة؟	د. محمد عمارة
١٩ـ نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم	د. محمد عمارة
٢٠ـ التقدم والإصلاح بالتنوير الغربى أم بالتجديد.	د. محمد عمارة
٢١ـ فكر حركة الاستنارة.. وتناقضاته	د. عبد الوهاب المسيرى
٢٢ـ حرية التعبير فى الغرب من سلمان رشدى إلى روجيه جارودى	د. شريف عبد العظيم
٢٣ـ إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين.	د. محمد عمارة
٢٤ـ الحضارات العالمية تدافع.. أم صراع؟	د. محمد عمارة
٢٥ـ التنمية الاجتماعية بالغرب.. أم بالإسلام؟	د. عادل حسين
٢٦ـ الحملة الفرنسية فى الميزان	د. محمد عمارة
٢٧ـ الإسلام فى عيون غربية.. دراسات سويسرية.	ترجمة / أ. ثابت عيد
٢٨ـ الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة.. أم تفتيت واختراق؟	د. محمد عمارة
٢٩ـ ميراث المرأة وقضية المساواة	د. صلاح الدين سلطان
٣٠ـ نفقة المرأة وقضية المساواة	د. صلاح الدين سلطان
٣١ـ الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية.	د. محمد خاتمى

٣٢- مخاطر العولمة على الهوية الثقافية	د. محمد عمارة
٣٣- الغناء والموسيقى حلال أم حرام؟	د. محمد عمارة
٣٤- صورة العرب فى أمريكا	ترجمة وتعليق/ أ. ثابت عيد
٣٥- هل المسلمون أمة واحدة؟	د. محمد عمارة
٣٦- السنة والبدعة	تقديم وتحقيق/ د. محمد عمارة
٣٧- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان	تقديم وتحقيق/ د. محمد عمارة
٣٨- قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى	د. عبد الوهاب المسيرى
٣٩- مركسة الإسلام	أ. منصور أبو شافعى
٤٠- الإسلام كما نؤمن به.. ضوابط وملامح	د. يوسف القرضاوى
٤١- صورة الإسلام فى التراث الغربى	ترجمة/ أ. ثابت عيد
٤٢- تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمنة	د. محمد عمارة
٤٣- القدس بين اليهودية والإسلام	د. محمد عمارة
٤٤- مأزق المسيحية والعلمانية فى أوربا (شهادة ألمانية)	تقديم وتعليق/ د. محمد عمارة
٤٥- الآثار التربوية للعبادات فى الروح والأخلاق	د. صلاح الدين سلطان
٤٦- الآثار التربوية للعبادات فى العقل والجسد	د. صلاح الدين سلطان
٤٧- السنة النبوية والمعرفة الإنسانية	د. محمد عمارة
٤٨- نظرات حضارية فى القصص القرآنى	د. سيد دسوقى
٤٩- الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين	د. محمد عمارة
٥٠- الإعلان الإسلامى لحقوق الإنسان	تقديم/ د. محمد سليم العوا
٥١- عن القرآن الكريم	الشيخ/ أمين الخولى
٥٢- فى فقه الأقليات المسلمة	د. طه جابر علوانى
٥٣- مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية	د. محمد عمارة
٥٤- مركسة التاريخ	أ. منصور أبو شافعى
٥٥- نقل الأعضاء فى ضوء الشريعة والقانون	مستشار/ طارق البشرى
٥٦- السنة التشريعية وغير التشريعية	محمد الطاهر بن عاشور
	الشيخ/ على الخفيف
	د. محمد سليم العوا
	د. محمد عمارة
٥٧- شبهات حول الإسلام	د. محمد عمارة
٥٨- نحو طبٍّ نفسى إسلامى	د. وائل أبو هندى
٥٩- واقعنا بين العالمانية وتصادم الحضارات	عطية فتحى الويشى
٦٠- بناء المفاهيم الإسلامية	د. سيف الدين عبد الفتاح
٦١- المستقبل الاجتماعى للأمة الإسلامية	د. محمد عمارة
٦٢- شبهات حول القرآن الكريم	د. محمد عمارة



نهضة مصر

إلى القــارئ العـزيــــز ..

فى هذه السلسلة الجديدة ،

إذا كان «التنوير الغربى» هو تنوير علمانى، يستبدل العقل بالدين، ويقيم قطيعة مع التراث..

فإن «التنوير الإسلامى» هو تنويـر إلهى : لأن الله والقرآن والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنوار تصنع للمسلم تنويراً إسلامياً متميزاً.

ولتقديم هذا «التنوير الإسلامى» للقراء، تصدر هذه السلسلة، التى يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامى المعاصر:

- د. محمد عمارة
- د. سيف عبد الفتاح
- أ. فهمى هويدى
- د. سيد دسوقى
- د. عبدالوهاب المسيرى
- د. عادل حسين
- المستشار/ طارق البشرى
- د. محمد سليم العوا
- د. يوسف القرضاوى
- د. كمال الدين إمام
- د. شريف عبدالعظيم
- د. صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح لإنارة العقل بأنوار الإسلام.

الناشر

